ترجمت إلى
10 لغات عالمية
وحازت جائزتي Lasten
LukuVarkaus 2017
و Tampere 2016
في فنلندا

أرض الأخوات

SISTERLAND

AN ADVENTURE IN ANOTHER WORLD

رواية

سالا سيموكا

مكتبة

429

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

أرض الأخوات

SISTERLAND

AN ADVENTURE IN ANOTHER WORLD

429 | مكتبة

مكتبة
telegram @ktabpdf
telegram @ktabrwaya
جديد الكتب والروايات

تابعنا على تيليجرام اضغط هنا

تابعنا على فيسبوك اضغط هنا

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النسخة الإنكليزية عن الأصل الفنلندي
SISARLA
Seikkailu toisessa maailmassa
حقوق الترجمة العربية مرخَص بها قانونياً من الناشر
Kustannusosakeyhtiö Tammi, Helsinki
represented by Elina Ahlback Literary Agency, Helsinki, Finland
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © by Salla Simukka 2016
Kuvat © Saku Heinänen, 2016 :حقوق الرسوم
All rights reserved
Arabic Copyright © 2017 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

أرض الأخوات

SISTERLAND

AN ADVENTURE IN ANOTHER WORLD

سالا سيموكا

SALLA SIMUKKA

ترجمة

نهى حسن

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

مكتبة 429

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: شباط/فبراير 2018 م - 1439 هـ

ردمك 978-614-01-2459-2

منحة الترجمة
Translation Grant
صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Fund

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L.

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

مكتبة ٢٠١٩٥٥

إلى جميع شقيقات الروح،

اللواتي بقين،

اللواتي خسرتهن،

واللواتي عدن إليّ.

قالت أليس: «يا له من حلمٍ غريبٍ راودني!» وروت ما تذكرته عن مغامراتهـا العجيبـة مما كنت تقرأه للتو؛ وبانتهاء قصصها قبّلتها أختها قائلةً: «إنه فعلاً حلمٌ عجيبٌ، عجلي الآن بشرب الشاي، فقد تأخرنا».

وهكذا، نهضت أليس وانطلقت وهي تفكّر كم كان حلمها مدهشاً.

لويس كارول: أليس في بلاد العجائب.

«تخيـل.. تخيـل» قالت لاهثةً، «إن لم يعرف أحد سـوانا بالباب السـري أسـفل نبات الابلاب، واسـتطعنا أن نجده؛ واندسسـنا خلسةً وأغلقناه خلفنا، وتوارينا به عن أنظار الجميع، ودعوناه حديقتنا وادّعينا أننا طائرا سـمّان والحديقة هي عشـنا، ولعبنا فيها في كل يوم وزرعنا بذور النباتات في حفر نحفرها وجعلناها تنبض بالحياة بكل ما فيها...»

ف. هـ بورنيت: الحديقة السرية

«لغرابـة القول، اسـتمرت رقاقة الثلـج تنمو وتنمو حتى اتخذت شكل امرأة تلبس حلةً من حرير أبيض شفاف كأنه منسوج من مليون رقاقة ثلجية. كانت حسناء بهية المظهر، إنما من ثلج، كانت من الثلج اللماع الباهر.

ومـع ذلـك، بـدت نابضة بالحياة؛ وغاب عـن عينيها المتلألئتين كنجمتين السلام والطمأنينة».

هـ ك. أندرسن: ملكة الثلج، تحرير ج. هـ ستيكني.

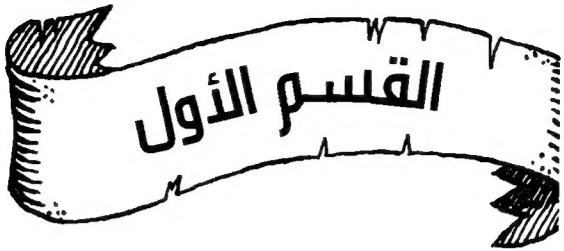

صديقة

1. الكثير من الثلج

كانت أليس في طريق عودتها إلى المنزل عندما وقع بصرها على فراشة ترفرف أجنحتها ذات ألوان قوس قزح على كومةٍ من الثلج.

هذا غريب، فكرت أليس في نفسها، فراشة!؟ في هذا الوقت من العام، وبوجود كل هذا الثلج؟ كيف نجت حتى الآن، وماذا سيحدث لها إن بقيت في هذا الطقس البارد؟

شتاء هذا العام عجيبٌ غريب. سقطت ندفة الثلج الأولى في نهاية أيلول، وهو بحد ذاته أمر غير مثيرٍ للعجب. فقد سبق للثلج أن تساقط مبكراً، لكنه هذه المرة دام وقتاً طويلاً جداً، وهذا هو الجزء العجيب.

كست طبقةٌ رقيقةٌ من الثلج الأرض، وتساقط بعدها المزيد والمزيد من الثلج. ثم مزيدٌ من الثلج.

في بادئ الأمر، شعر الناس بالغبطة إذ اعتقدوا أنهم تخلصوا من تشرين الأول الموحش الموحل، ومن كآبة تشرين الثاني وعتمته.

بدا المكان بأكمله مغطىً بطبقة من القشدة، وكان منظر الأشياء أبيض جميلاً، لامعاً متألقاً، ساطعاً وامضاً، وذلك بعد أن تراكم الثلج يوماً تلو الآخر.

ازدادت أعداد رجال الثلج التي يصنعها الأطفال إلى أن

أصبحت عائلات وقبائل ثلجية.

وتطـورت المعاقـل الثلجية إلى قلاع ومدن ضمّت شـوارع وجدران وخنادق.

بنى البعض متاهات ثلجية يتيه من يدخلها، ويقضي ما بقي من حياته متأملاً جدرانها.

تحولت باحة المدرسة إلى متنزه كبير للمغامرات الشتوية، حوى كهوفاً وأنفاقاً وتلالاً ثلجية.

وبالرغـم من القلق البادي في البرامج التلفزيونية وعناوين الصحف. لكن حقيقة الأمر أن الجميع أحبوا هذا الشتاء الاستثنائي.

مع بدء الشـتاء، أخذت الثلوج تتراكم إلى حدّ أعاقت فيه سير الحياة الطبيعي. وبالكاد استطعنا رؤية جزء من نوافذ الدور الأرضية لم تغطها الثلوج. وكنا يومياً نعمل لساعات طويلة على جرف الثلوج كي لا تغطي منازلنا بالكامل وتبتلعها.

وأصبح من المتعذر الحفاظ على الطرق مفتوحة في القرى الصغيـرة والمناطـق النائية، وهذا ما جعل الناس يتركون منازلهم وينزحون إلى مناطق تقل فيها سماكة الثلوج.

إلا أن البعض أبوا الرحيل، وأخذوا يعيشـون حياة الأسـلاف المنعزلـة، نافضيـن الغبار عن مزاليجهم ليبدؤوا بحثهم الشـاق لأميال وأميال عن متجر. لقد أثقلت الثلوج السميكة على أغصان بعض الأشـجار وتسـببت بتكسرها، كما أن الرياح اقتلعت أشجاراً من جذورها، وقطّعت أسلاك الكهرباء، وتوقفت حركة القطارات بالكامل بعد أن دفنت سككها الحديدية تحت أكوام الثلج. ومع اقتـراب العـام من الأفول، وللمرة الأولى قل عدد الناس المهللين لتساقط الثلج خلال الكرسمس.

لقد تحول الثلج من صديق إلى عدو وجبت محاربته ريثما تعلن هدنة. لقد أعاق الثلج الحياة، وأصبحت الأمور العادية تأخذ وقتاً أطول لتنجز. فقد أخذ الناس يرتدون طبقات وطبقات من الألبسة ليشعروا بالدفء وهذا ما أعاق حركتهم، ولم يعد الطلاب والعمال قادرين على الوصول إلى مدارسهم وأعمالهم إلا بشق الأنفس. لقد ولّد البرد الشديد ذعراً أخذ يزحف شيئاً فشيئاً إلى مِعدنا ومنها إلى أفكارنا قبل أن يصل إلى أحلامنا، وكانت الصدمة نصيب من استجمع قواه وشد من عزيمته ليخرج، فالأبيض المتلألئ كان يبسط نفوذه في الأرجاء.

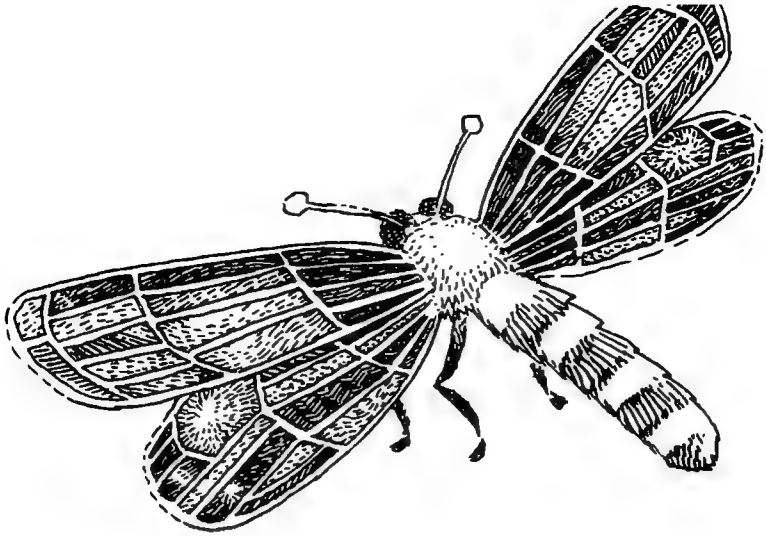

خيّم البرد والصقيع على البلاد، وانخفضت درجة الحرارة يوماً بعد يوم إلى أن وصلت عتبة العشرين درجة تحت الصفر، والتي لم يسبق لها أن انخفضت إليها، وكان السؤال الذي يقضّ مضاجع الجميع: ماذا سيحصل إن انقطع التيار الكهربائي أو لم تعد الأجهزة العاملة على الكهرباء قادرة على بث الدفء في المنازل؟

لقد أثّر البرد على طباع الناس، فغابت الابتسامة الدافئة عن وجوههم وتبلدت مشاعرهم، ولم تعد تجد إلا قليلاً من الناس يضحكون وكانت ضحكاتهم شديدة البرودة. بدا الأمر كأن الناس طفقوا يتجمدون من الداخل.

أما أليس، فكان لديها صديقتان تخيليتان لمواساتها: أليس المرآة وأليس الظل.

أليس المرآة هي انعكاسها في المرآة أما أليس الظل فكانت ظلها. بالرغم من الأحاديث التي أجرتها أليس مع صديقتيها التخيليتين، كانت تعرف أنهما غير حقيقيتين.

ذات يوم، لاحظت أليس اختفاء ظلها، ولم تجد له أثراً.

وبعدما نظرت حولها اكتشــف أنها ليســت الوحيدة التي فقدت ظلها، ولم يقتصر اختفاء الظل على البشر بل حتى الشمس التي كانت تظهر بين الحين والآخر من بين الغيوم المتلبدة، لم تستطع أن تلقي بظل أي شيء على صفحة الثلج البيضاء.

أخبرت أليس والديها، فقالا لها إنهما يظنان أن طغيان اللون الأبيــض هــو الذي يصعّب تمييز الظلال. لم يقنعها تفســيرهما، لكنها لم تخبرهما بذلك.

نعم، لقد كان هذا الشتاء غريباً بكل ما للكلمة من معنى، إلى درجة أن بقاء الفراشــة على قيد الحياة إلى هذا الوقت لم يعد ســوى تفصيل لا يســتحق التوقف عنده. ولكن وبالرغم من كل ذلك حثّ الفضول أليس على إخراج هاتفها المتنقل والبحث عبر الإنترنت لمعرفة أنواع الفراشــات النادرة القادرة على البقاء حية في ظل صقيع الشتاء الشديد.

أليس في الحادية عشــرة من العمر. وأليس تعرف أنها في عمر حرج، فمن يقف عند عتبة الحادية عشرة تكون إحدى قدميه فــي ريــاض الطفولة بينما بالكاد تدوس الأخرى رحاب المراهقة، وهذا يعني أنك ستكون عرضة للانتقاد مهما فعلت. فهذا يقول: لمــاذا تتصــرف على هذا النحو، فقد أصبحت كبيراً؟ وذاك يقول: لماذا تتصرف على هذا النحو؟ أتظن نفسك كبيراً؟

ولكــن يبــدو أن الرأي الغالب لدى البالغين أن ابن الحادية عشرة لم يبلغ العمر الذي يتيح له فهم العالم والحياة فهماً جيداً. ولكن أليس وأمثالها يدركون كم هؤلاء مخطئون، ويعزون ســبب أخطائهم إلى أنهم نســوا كيف يكون ابن الحادية عشــرة، ولكن أليس تعرف. وخير تشــبيه للتحول الذي يطرأ على ابن الحادية

عشــرة إنــه كمن اعتاد الاختباء في جنبــة ورود، وفجأة تحولت ورودها إلى أشواك حادة ولكنها ظلت جميلة وساحرة وعطرة.

لم يأتِ بحثها عبر الإنترنت عن فراشات الشتاء أكله، وعندما شعرت بالبرد يخدر أصابعها توقفت وأعادت الهاتف إلى جيبها، ووضعــت يديهــا في قفازيهما، وبينمــا كانت تحدق إلى الهاتف لاحظت اختفاء الفراشة ولم يخطر ببالها قط أن تلتقط لها صورة.

ولاحظت أيضاً شيئاً أكثر غرابة - آثار أقدام كلبٍ على الثلج- وهــذا بحــد ذاته لم يكــن عجيباً لولا أن هذه الآثار لم تبدُ آتية من مكان معين، فقد انبثقت من وســط الثلج، وكأن الكلب قد هبط من الســماء وبدأ ســيره في الثلج. تعقبت أليس الآثار إلى أجمــة صغيرةٍ على مشــارف الفنــاء الخلفي للمبنى الذي تقطنه. كان الليل قد بدأ يلقي سدوله، وبدأت براثن البرد تلذع وجنتيها.

فجأة، توقفت أليس مفكرة في ما عساها تفعله. فقد كانت آثار أقدام الكلب وحيدة ولم يكن إلى جانبها آثار أقدام إنسان، وهذا إن عنى شــيئاً، فهو أنه كلب شــارد. لم تكن أليس تخاف الكلاب، ولكنها لم تكن تعرف كيف تتصرف مع كلب شارد. فكرت إن كان من الحكمة دخول الأجمة لتجد نفســها وجهاً لوجه مع كلب شارد؟ انحنت محدقة إلى الآثار، فوجدتها كبيرة بعض الشيء ولمعت في مخيلتها صورة رأتها في أحد كتب الطبيعة التي قرأتها مراراً وتكراراً. واستنتجت أن هذه الآثار تعود لذئب وليس لكلب.

إنه ذئب كبير وطليق ينتظرها في ظلمة الأجمة.

فكرت أن من الحكمة أن تقفل عائدة أدراجها، وما إن خطت أولى خطواتها حتى حدث ما حدث.

2. بوابة الحديقة

وعلى حين غرة تزعزع الثلج تحت قدميها، ووجدت نفسها مغمورةً بالثلج حتى وسطها، وقبل أن تتمكن حتى من طلب المساعدة، أخذت تغوص شيئاً فشيئاً في عمق الثلج الأبيض الناعم.

بعد أن غاصت طويلاً في الثلج، فقدت إحساسها بالوقت، وشعرت بالنعاس للحظات، وربما أُغمي عليها، وهي تغوص وتغوص مفكرة بغرابة ما يحصل، وأنها لا بد وصلت القاع، فلا يمكن للثلج أن يتكدس إلى هذا العمق في أي مكان!

فجأة، تحول البياض الذي يحيط بها إلى سواد، ولم تستطع عيناها أن تبصرا إلا الظلام.

حطت على شيء طري، وفقدت وعيها لبعض الوقت. لتفتح عينيها على سماءٍ مليئة بالنجوم فوقها. بدأت تبحث عن مجموعات النجوم المألوفة: الدب الأكبر، أوريون... لكنها لم تستطع أن ترى أي كوكبة تعرفها، فالنجوم لم تكن في مواضعها المعهودة. لقد كانت أليس تتأمل سماء عالمٍ آخرٍ.

بعد برهة من تحديق أليس إلى الأماكن الغريبة التي تتمركز فيها النجوم، شد انتباهها ما هو أكثر غرابة! إذ بدلاً من القمر شاهدت ثلاثة أقمار بطور الهلال! أحدها كان هلالاً فضياً، وأكبر

حجماً من الآخرين، وربما يبلغ حجمه أربعة أضعاف القمر في سماء عالمها. وفي تلك السماء وُجِد أيضاً زوج إضافي من الأقمار.

فكّرت أليس، ما هذا العالم الغريب ذو الأقمار الخمسة. ثم انتبهت إلى أنها تشعر بالحر، وأنها تتصبب عرقاً داخل معطفها وبنطالها الشتوي فعمدت إلى خلعهما، ولاحظت أيضاً وهي تنهض أنها تستلقي على عشبٍ طري مسحته بيدها وتلمست نعومته الشديدة. طراوة فاقت طراوة كل عشبٍ لمسته من قبل!

بعدما انتهت من خلع معطفها وبنطالها الشتوي شعرت بالتعب ما دفعها للاستلقاء مجدداً، وإذ بالليل يرخي سدوله. ظنت أنها سمعت غناءً خافتاً مترافقاً مع عبق شذا الورود.

خاطبت أليس نفسها: هذا أغرب حلمٍ راودني على الإطلاق.

ما لبثت أليس أن لمحت شيئاً مألوفاً يحوم فوق رأسها ويحدق إليها بعينيه الذهبيتين، إنها تلك الفراشة ذات الأجنحة بألوان قوس قزح، وقبل أن تتمكن من الترحيب بها بدأت الفراشة تتضخم. أصبحت أجنحتها بطول الذراع، وتمدد جسدها وتضخم رأسها كثيراً وبدأت عندها بالتحول. غطى الفرو رأسها، وتحول قرنا الاستشعار إلى أذنين، والتفت أجنحتها - التي تحولت إلى فرو أيضاً- على طول ظهرها. مكتبة

انكمشت هذه الحشرة الضخمة الذهبية في فراغٍ صغيرٍ. وفي غضون لحظاتٍ لا أكثر، شعرت أليس بحافرين يطوقان كتفيها وبأنفاسٍ دافئة على وجهها عبقت فيها رائحة الغابة والطرائد الطازجة، وشاهدت عينين ذهبيتين تتفرسان عينيها، إنهما عينا ذئب.

من هول الصدمة، نسيت أن تخاف! زاد الذئب من حدة نظراته، وهرّ صوته الضعيف بين أنيابه حتى وصل أذنيها، اللتين سمعتاه يصدر من رأسها ومن أفكارها.

قال الذئب: انهضي، هذا ليس حلماً.

انقادت أليس خلف الذئب، الذي التفت إليها مرات عدة حاثاً إياها على أن تسرع الخطى. علمت أن الذئب يقول الحقيقة، وأنها ليست في حلم من نسيج أفكارها، ولكن أكثر ما أثار دهشتها الهدوء الذي تشعر به بالرغم من كل ما حدث ويحدث، لكنها - ولسببٍ غاب عن إدراكها وأثار تعجبها - كانت تشعر بالطمأنينة. فقد سقطت داخل الثلج في حفرةٍ قادتها إلى عالمٍ آخر لا تعرف طريق العودة منه، هذا إن كان هناك طريق للعودة أصلاً.

لا بد أن تأخرها أقلق والديها، ولكنها لم تقلق بشأنهما. فقد كانت المغامرة الحقيقة التي لا يفصلها عنها سوى قيد أنملة تستحوذ على جل تفكيرها. مغامرةٌ حقيقيةٌ، هي الأمنية التي لم تتمنَّ يوماً سواها، هذه الأمنية التي كانت على وشك أن تبدأ، الأمنية التي ستستمتع بثوانيها إلى أقصى حدود.

مشيا حتى وصلا حدود منطقة العشب الطري التي تنتهي بسياجٍ مزخرفٍ يفصلها عن أشجارٍ باسقة ذات أفنان تحت سماء مرصعة بالنجوم. اقتربت أليس والذئب من بوابةٍ منمقة بزخارف كثيرة.

سألته أليس: «أين نحن؟».

توقف الذئب عندما سمع السؤال، وحك خلف أذنه بقائمته

BURIAL
WEB

الخلفيــة وأجابهــا: «إننا فــي أرض الأخوات، وخلف هذه البوابة توجــد حديقــة الأســرار. ومن هناك يجب أن تكملي المشــوار بمفردك. فالمتحولون مثلي لا يمكنهم الدخول إلا بدعوة».

سألته أليس: «ألا أستطيع دعوتك؟».

هز رأســه نافياً وقال: «لا يمكنك دعوتي قبل أن تصبحي من سكان الحديقة الدائمين».

كانــت بوابــة الحديقة مقفلة. في الواقع، كان لهذه البوابة ثقوب عديدة، فلا يستطيع الناظر إليها معرفة أيها وهمي تزييني وأيها يمكنه فتحها.

قالــت أليــس للذئب: «إنني لا أملــك أي مفتاح». لم يأتِ جوابٌ من الذئب بل بدأ معطفه الأبيض يتموج فجأةً، وتوهجت عيناه بضوءٍ ساطع، فظنت أليس أنه يتعرض لهجوم مباغت من شيء لا تستطيع رؤيته.

بانتهاء التموج والتوهج بصق الذئب المنهك شيئاً ما على العشب. مفتاح!

التقطــه الذئب ومســح عنــه اللعاب بقميــص أليس التي حدقت إليه واشتمت فيه رائحة الصيد.

خاطبها الذئب هامساً: «هذا المفتاح الأول من ثلاثة مفاتيح، احتفظي بها في مكان آمن فستحتاجين إليها».

بصق الذئب شيئاً آخر بدا كأنه عظمة أرنب. وللحظةٍ أمال رأسه وشرع يحفر حفرةً في العشب.

قالت أليس: «شكراً لك».

وقفت وبيدها المفتاح إنما كانت مغلوبة على أمرها أمام

البوابة. فأنّى لها أن تعرف الثقب الذي يناسبه المفتاح ويفتح البوابة؟ جرّبت أليس المفتاح في ثقب تلو ثقبٍ تلو ثقب.. لكن محاولاتها جميعاً باءت بالفشل، وبقيت البوابة موصدة في وجهها.

أمكنها أن تسمع تنهد الذئب الواقف خلفها، التفتت إليه فسألها هامساً: «ما اسمك؟».

- أليس.

- هذا ما سيفتح البوابة.

لم تستوعب أليس ما حدث، بل عادت لتجرب المفتاح في الثقوب لتجده مكتوباً عليه: تأمرك أليس أن تفتح!

لم يبدُ أن البوابة ستفشي أسرار فتحها. بدأت أليس تتلمس الأشكال الملتفة على البوابة لتستنتج أن تصاميمها تعبر عن حروف خُطّت بزخرفةٍ فاخرةٍ منعتها من رؤية ماهيتها الحقيقية.

بحثت عن حرف الألف، وأدخلت المفتاح فيه، لكن شيئاً لم يحدث. فكرت لبعض الوقت، وبدأت تبحث عن حرف اللام ثم الياء مدخلة المفتاح في كل منها بالترتيب.

ما إن دار المفتاح في ثقب الحرف الأخير حتى انفتحت البوابة على مصراعيها، مصدرة صوتاً أقرب ما يكون إلى مواء قطة. التفتت أليس إلى الذئب مبتهجةً لتلتقي نظراتهما، لكن نظراته شابها بعض القلق وقال لها: «هيا انطلقي».

وبعبور أليس البوابة، أصدرت صوتاً شبيهاً بالصوت التي رافق انفتاحها، وبدأت تغلق مجدداً. التفتت أليس لتلقي نظرة الوداع، فرأت الذئب يقف في ظلام الليل، وقد اتقدت عيناه

بالود، وهذا ما بعث في نفســها إحساســاً بالذنب لافتراقها عنه وتركه خارج السور، فقررت في نفسها أن أول ما ستفعله عندما تصبح من سكان الحديقة الدائمين هو دعوة صديقها المتحول.

وما أن خطت أولى خطواتها في حديقة الأسرار حتى بدأ مشوارها.

3. من ذا الذي دخل حديقتي؟

كلما توغلت أليس في الحديقة زادت دهشتها، فقد لاحظت أن الحديقة كانت دائمة التغير والتبدل. ففي البدء، اجتازت غابةً بدائيةً معتمةً باردة، تلاها على بعد خطواتٍ لا أكثر دغلٌ رطبٌ دافئٌ حافل بالألوان؛ بعدما اجتازته وصلت حقلاً زاخراً بالفراشات زاهية الألوان، ومنه عبرت إلى أيكة بلوط تقطنها عائلة سناجب تتسلق الجذوع الغليظة قابضة على الثمار بأسنانها.

بدا لأليس أن الحديقة تختزن في جوفها العديد من المفاجآت فمن مستنقعاتٍ وينابيع تظهر على نحو غير متوقع، إلى دروبٍ تختبئ بين الأشجار وصولاً إلى الشلالات والجسور والقناطر المصنوعة من أغصان الأشجار والكروم، وشجيرات الورود الضخمة، إضافةً إلى الجروف الصخرية والمغارات والعرازيل وشرفات المراقبة، ومروج شاسعة تركض فيها الريح، وكانت أغصان أشجار الدردار يلامس بعضها بعضاً مكونة سبيلاً للعبور من دردارة إلى أخرى، حيث تتدلى الأراجيح المعقودة من أكاليل الزهر. وعلى غفلةٍ ظهرت فجوات في الغابة مضاءة باليراعات، والسوسن الأبيض الممتد على طول الشعاب الجبلية.

حافية جالت أليس في أرجاء الحديقة، فلا حذاؤها عالي الساق أكمل المشوار معها ولا جواربها الصوفية؛ ولكن قدميها لم تطآ حصوةً ولا غصن شجرةٍ أو كوز صنوبر، وكأنهما تجولان أرضاً

تعرفان شعابها، فقد كانتا تنتقلان وبكل ثقة عبر الأماكن المناسبة.

لقد كانت الحديقة بكل معالمها أقرب إلى حلمٍ راود أليس مراراً وتكراراً، لكن ذاكرتها عجزت عن استرجاعه بعد الاستيقاظ.

من دون كلل، تابعت سيرها في الدروب تصفر وتصفر. أما قدماها فأرادتا أن تقفزا فرحاً وبهجة. وفجأةً سقط كوز صنوبر أمامها، رفعت ناظريها لتلمح فتاةً تجلس على شجرةٍ كبيرة تنظر إليها؛ بدت قريبةً من عمرها.

سألت الفتاة: «من ذا الذي يمشي في حديقتي؟».

أجابت أليس: «أهذه حديقتك؟».

شرعت الفتاة تهبط الشجرة برشاقةٍ. ومسحت ما علق على يديها من قشور الشجرة بعد أن حطت قدماها على الأرض.

«حسناً، لم أجد أحداً آخر هنا، فظننت أنها لي».

سألتها أليس: «أحقاً هذا؟».

تفحصتها الفتاة بعناية ثم ما لبثت أن انفجرت ضاحكةً.

«نعم هذا ما حدث من حين وصولي منذ لحظة خلت».

كان شعر الفتاة طويلاً وبنياً وكانت غرتها تصل حاجبيها، لم يسبق لأليس أن رأت عينين أكثر خضرة من عيني هذه الفتاة، المرتدية ما يشبه الملابس الداخلية ذات سروال طويل وكمين طويلين رفعتهما كاشفة عن ساقيها وذراعيها.

قالت الفتاة: «ماريسا».

مرت برهةٌ قبل أن تدرك أليس أن ما قيل هو اسم الفتاة وعندها أجابتها:

«أنا أليس».

تلى تعريف الفتاتين عن نفسيهما لحظاتٌ من التحديق

الصامـت المتبـادل. لـم تعرف أليس مـا عليها أن تقول، فهي لا تجيد التعرف إلى الناس الجدد. لطالما خطرت ببالها أشياء غريبة إلا أنها لم تكن تفصح عنها حتى لا تبدو غريبة الأطوار كأفكارها.

بادرت ماريسـا بالسـؤال: «هل سبق لكِ أن سمعت بالورود المغنية؟».

هـزت أليس رأسـها نفياً. فـي مكانٍ غير هذه الحديقة كان سؤال ماريسا سيبدو غايةً في الغرابة، لكن هنا في أرض الأخوات كان جد طبيعي.

«تعالي لأريك شيئاً ما».

أمسـكت ماريسـا بيد أليس وسارتا على دربٍ تحفه أشجار ذات أزهارٍ زرقاء وحمراء تغطي الفروع والجذوع. وأثناء تجوالهما خطر ببال أليس فسألت: «كيف وصلت إلى هنا؟»

«وقعت عيناي على فراشـة. وسـقطت بعدها في هوة من الثلج قادتني إلى هذا العالم».

«وأنا أيضاً!!».

وقصـت أليـس الأحداث التـي أوصلتها إلى هنـا والتقائها بالذئب الذي أعطاها المفتاح لتفتح البوابة تبعاً لأحرف اسـمها. وأردفت «لكن ما السبب وراء ذلك؟ لا بد من أن هناك سبباً».

وافقتها ماريسا بقولها: «نعم، لا بد من سبب، أنا واثقة أننا سنكتشفه في الوقت المناسب».

«كيف بإمكانك أن تحافظي على هدوئك؟».

ردت ماريسـا ضاحكة: «أي هدوءٍ هذا؟ أنا متشـوقة لأقصى الحدود فهذه مغامرتي الأولى! وأنا التي كنت أحلم دائماً بمغامرة. ألم يراودك حلم مماثل؟».

«بلى» أجابت أليس وهي تضغط على يد ماريسا.

وصلتا إلى الورود المغنية التي تزهر على أجمةٍ كبيرة، فزحفت الفتاتان تحتها. وما أثار دهشتهما أكثر من حجم الشجيرة هو ألوان ورودها: البيضاء والحمراء الزاهية جارتان على الغصن نفسه. لا يغيب عن الورود لون من الأبيض الخالص حتى أغمق أطياف القرمزي. اتشحت بتلات بعض الأزهار ذات اللون الأحمر الناري بحوافٍ وردية رقيقة.

لكن.. لكن أليس لم تسمع أي غناء! جلست الفتاتان في الأجمة فاستطردت أليس متعجبةً:

«ألم تقولي إنها تغني؟»

«صهه. انتظري» همست ماريسا.

جلستا صامتتين للحظات قبل أن تسمعا غناءً خافتاً لدرجة أن أليس ظنت أنها تتخيله لا أكثر، بدأ الصوت يعلو شيئاً فشيئاً، فقد كانت الورود تغني فعلاً! ولكل منها صوتها الخاص ولحنها المميز، ورود فواحة تدندن موسيقى دون كلمات، للحن كل وردة عبيرٌ مختلفٌ عن البقية. ولم تقتصر الروائح على شذا الورود فحسب بل عبقت جميع الروائح الطيبة: كالليمون والزنجبيل

والقرفة والفانيليا، رائحة ندى الصباح والعشب المجزوز المنعش، الغسيل النظيف ورائحة غابات الصنوبر تحت أشعة الشمس، والتوت البري والأمطار في ساعات الليل، ورائحة الريح العابرة فوق بحيرة والغسق في أيام الخريف.

«هذه أجمل بقعة في العالم كله» همست أليس كلماتها بسكون.

صنعت الفتاتان عشاً من الأعشاب وأغصان الأشجار تحت جنبة الورود ونامتا تحت نور الأقمار الخمسة على أرض الأخوات.

4. جنيات الرياح وناسجو الأحلام

في الصباح التالي، همّت أليس وماريسا لاستئناف مغامرتهما واستكشاف حديقة الأسرار.

من حقلٍ صغيرٍ اتجه سربٌ من الجنيات إليهما حاملاً الخبز والحساء وبعض الجبن والمقانق.

قالت أليس والدهشة تغمرها: «شكراً لكنّ، هل أنتنّ جنيات خيرات؟».

«لا» أجابت إحداهن بينما قلدتها الباقيات بصدىً رنان: لا-لا-لا-لا-لا-لا-لا.

هنا تدخلت ماريسا سائلة: «إذاً من أنتن؟».

أجابت الجنيات: «نحن جنيات الريح، وبما أن الريح تهب من الشرق اليوم فنحمل للجميع وليمةً لذيذة».

تبادلت أليس وماريسا النظرات وسألتا معاً:

«وماذا يحصل إن هبت الريح من اتجاهٍ آخر؟».

«إن هبت من الغرب نذهب في رحلة بحث؛ وإن أتت من الشمال نطير جيئةً وذهاباً».

حلقت جنيات الريح حول الفتاتين موزعات الأطباق على الصخور وأرومات الأشجار. ثم فرشن الأرض بلحافٍ ليجلسن عليه ريثما تجلس الفتاتان لتناول الطعام. وما أن تناولت أليس لقمة الخبز الأولى حتى خطرت خاطرةٌ ببالها فسألت:

«ماذا لو هبت الريح من الجنوب؟»

صمتت الجنيات وطبع الحزن وجوههن بلونٍ رمادي.

«عندها يكون وقت الأسى بالنسبة إلينا».

«لماذا؟».

«لأن ريــح الجنــوب تغلق أفواهنــا وحينها نتذكر من فارقنا من شقيقاتنا وأشقائنا».

نفضــت الجنيــات أجنحتهن بصوتٍ كأنــه دوي غائرٌ لجرس الصباح. أشعرها سؤالها بالإحراج. لكن بمضي لحظاتٍ قليلة عادت الجنيات إلى الابتهاج والجذل مستطردات:

«لكن الريح الآن من الشرق، فلنتابع مسيرنا لنصل إلى جميع الأفواه الجائعة!»

تابعن تحليقهن بينما التهمت الفتاتان الطعام اللذيذ.

كشــفت ابتســامة ماريسا عن أســنانها عندما قالت لأليس: «المتعة جنونية هنا، نعم، جنونٌ ومتعة في آن واحد».

أومأت أليس بالموافقة وفمها مليء بالمقانق.

بعد الانتهاء من تناول الطعام، استأنفت الفتاتان مشوارهما حتى وصلتا إلى بيارة برتقال تعبق منها رائحة حلوةٌ سببت لهما الــدوار. وبين الأشــجار، وتحت الظــلال الخضراء والصفراء، كانت هناك عشرات الأنوال على كل منها شخصٌ ينسج ويحيك.

كان الناسجون عجائز ذوي شعرٍ أبيض طويل، يرتدون أثواباً بيضاء؛ صعب على الفتاتين معرفة الرجال من النساء بينهن.

دنت أليس وماريســا من إحدى الناســجات لتجداها تحيك قماشاً من خيوط ذهبية وفضية.

سألت ماريسا بفضول: «من أنتِ؟».

«نحن ناسجات الأحلام، نحيك أغرب الأحلام وأجملها. نفطن لأصغـر آثـار اللاوعي وتفاصيله ونخيطها على نسـيجٍ من الخيال الذي يطوق النائمين ويحملهم إلى مملكة الأحلام الخفية». ردت الناسجة وهي على وشك أن تنهي عملها.

سألتها أليس: «وما نوع الحلم الذي تقومين بنسجه الآن؟».

تناولت الناسـجة القماش من النول لتريه للفتاتين. سقطت أشعة الشمس المتسللة بين أغصان البرتقال على القماش لتكشف التنين الذهبي المحاك.

«ذات مـرة ومنـذ وقت طويل، طارت التنانين فوق حديقة الأسـرار، وكانـت كائنـاتٍ متبخترةٍ ومهيبة. إنمـا تلك الأيام ولت الأدبار، مضت بعدها السنون بل القرون؛ ولم تعد التنانين تطير إلا في الأحلام». قالتها الناسجة وهي تري القماش لأليس وماريسا.

«خذاها فأنتما تبدوان كمن تحلمان بتنانين عظيمة».

قبلت الفتاتان بامتنان الهدية الناعمة خفيفة الوزن كاللحظات الأولى من الاستسلام للنوم.

بعد ذلك تتابعت المغامرة والتقتا بالأزهار المتسـائلة ذات ريش عصافير مضحكٍ والتي لم تتوقف لحظةً عن توجيه الأسئلة: «مـن أنتمـا؟ مـا هذا؟ إلى أين ذهب؟ من أين أتى؟». «ما الذي قاله؟».

قابلتا أيضاً الأقزام المكسوة بالطحالب وجوالة الليل وعازفي أوراق الأشجار وكثيراً غيرها من المخلوقات التي لم تدركا ما هي في يومهما الأول في الحديقة. فالحديقة كانت زاخرة بعدد كبيرٍ من الكائنات المميزة والمختلفة الكبيرة والصغيرة، وتلك الزاحفة الغريبة المريبة والوحوش الجميلة وحيوانات الغابة بدءاً بالغزلان

وانتهاء بالدببة والسنونو.

وكأن الحديقـة مثلـت كل ما كتب يوماً في حكايات الخيال من مناظر وكائنات، وباتت تعيش جميعها في ألفةٍ مذهلة بالرغم من أن بعض الجدال والتأنيب شاب علاقاتها إنما من دون عداوات مستمرة.

كان لسـاكني حديقة الأسـرار سـمة خاصة لم تجدها أليس وماريسـا فـي عالمهما قبل أن تسـقطا في الهـوة الثلجية. إنها الحرارة التي شعرتا بها، الحرارة التي تنبع من الداخل.

مضـت الأيام. وظل الشـرق سـيد الريح ومصـدر انبعاثها، واسـتمرت الولائم الشـهية تُفرش أمام الفتاتين يومياً. وفي الليل تنامـان مدثرتيـن بلحاف أحـلام التنين الطائـر لتحلما بأجنحته الخفاقة الهائلة تزلزل عرض السماء. كانت الحديقة تضج بصخب الصيف بكل ما فيها.

ذات يوم فاجأت ماريسا أليس بسؤالها:

«هل كانت لديك هواية؟ أقصد في عالمنا نحن!»

فكرت أليس قليلاً قبل أن تجيب:

«علم الفلك والرماية... والتفكير».

«أيعد التفكير هوايةً؟»

رفعت أليس كتفيها قائلةً: «لا أعلم حقاً. لكني كثيراً ما أفكر وأفكر وأنسج خيالات كثيرة».

«مثل ماذا؟».

أحسـت أليـس بالقليل من الحرج. هـل تجرؤ على البوح؟ واستطردت:

«حسـناً، أنا لا أؤمن بالأصدقاء التخيليين، لكني أحياناً أقوم

بالتشـاور مع بعض الأشـخاص كأليس المرآة وأليس الظل؛ أراهما في مرآتي وفي ظلي. تشبهني صديقتاي قليلاً بالرغم من وجود بعض الفروقات الواضحة. وفي بعض المناسبات أحادثهما لأوقات تطول وتطول».

ألقـت أليـس نظرة خاطفة على ماريسـا لترقب ردة فعلها فربما ضحكت عليها؛ لكن ماريسا بدت أنها مستغرقة في التفكير. ثم قالت:

«أنا أرسم كثيراً، وأحادث الشخصيات التي أرسمها وتحادثني».

اجتاح أليس شعورٌ بالارتياح الدافئ، فها هي قد وجدت أحداً ولم تبدُ غريبة الأطوار أمامه.. بل على العكس تماماً، فماريسـا قد تفهمتها جيداً. تابعت أليس:

«يعتقـد بعـض الناس أن من المعيب تخيل الأشـياء عندما تبلغ الحادية عشرة من عمرك».

أكدت ماريسا بالقول:

«لا، لا أظن أنه من المعيب أو المحرج البتة. وأود حقاً أن أبقـي علـى تخيلاتي بعد أن أصبح أماً وجدةً ذات أحفاد!»

«إذاً، نستطيع أن نشكل معـاً ناديـاً سـرياً وندعوه: الجدات المتخيلات!»

غرقت الفتاتان في ضحكات عميقـة أثناء إكمال التخطيط لنشـاطاتهما المشتركة عندما تهرمان وتصبحان جدتين.

قالـت ماريسـا: «يمكننـا أن نذهب إلى

الحضانات والمدارس لنقص على الأطفال قصصاً من اختراعنا عن أيام الشباب الجامحة!»

بادرت أليس بالقول: «ويمكننا أن نتنكر كوحيد القرن ونشارك بسباقات العدو في أرجاء المدينة».

سكنت أليس وماريسا حتى استعادتا أنفاسهما من نفث هواء الصيف العليل. وبعد أن انتظمت أنفاسهما وأصبحت شبه ساكنة، استطردت ماريسا بسؤالها: «كيف تبدو عائلتك؟»

حاولت أليس استجماع أفكارها للحظة قبل أن تبدأ بوصف عائلتها:

«عائلتي.. هناك والدي ووالدتي.. ولديّ أيضاً أخت أكبر مني؛ ماذا عنك يا ماريسا؟».

تغضن جبين ماريسا لوهلةٍ فبدت بمظهر من يفكر بعمق قطعه قولها:

«أتذكر أبي... وأتذكر إخوتي الصغار كالتوأم».

لمست أليس الشك في صوت ماريسا. الشك نفسه الذي بعث القشعريرة داخلها. حضرت في مخيلتها صورة غرفتها، لكنها لم تستطع أن تتذكر شكل ورق الحائط! ولا الكتب التي زينت رفوفها. كانت ذكريات أليس مبهمة بعض الشيء حول ترتيب ألعابها المحشوة على الرف العلوي مباشرةً أسفل السقف، لكن ما عجزت حقاً عن تذكره هو عدد ألعابها وأسماؤها!

بدت صورة منزلها في بالها كلوحة زادت

ضبابيةً وغشاوةً بمضي كل ثانية. وأسوأ ما في الأمر كانت محاولات أليس التفكير بعائلتها لصعوبة استذكار وجوههم وأصواتهم. لقد أصبحوا كأقارب انقطعت سبل التواصل معهم منذ سنوات طويلة ولن تتمكن من تمييز وجوههم بعد اليوم.

«بدأت أنســى عائلتي» صرحت أليس لماريســا التي نظرت مباشرةً إلى عينيها قائلةً: «وأنا أيضاً».

أدركت أليس أن قلقهما حل متأخراً. لكنهما منذ ســماعهما غناء الورود المسائي الخلاب وتربيت جنيات الريح على رأسيهما وأيديهــن الصغيــرة التي تداعب شــعريهما، أصبحتا عاجزتين عن التفكير إلا بجمال اللحظة نفســها فلم تفتقدا وجودهما في أي مكانٍ آخر.

5. يوم الشاعر بو

سـبقت الأيـام أليس وماريسـا في الحديقـة إلى أن جاءت الجنيـات يومـاً محملات بتيجان زهر كبيرة وهذه كانت مراسـم إعلان الفتاتين ساكنتين دائمتين في حديقة الأسرار.

من الغريب، أن الزمن داخل حديقة الأسرار كان متلاشياً. فقد حاولت أليس وماريسا إحصاء الأيام في بادئ الأمر لكن النسيان كان أقوى حضوراً. في الواقع، لم يكن للوقت المعنى ذاته الذي كان له قبل دخولهما الحديقة، وشعرتا أن الحديقة كانت بيتهما الأول والأخير.

وضعت جنيات الريح تيجان الزهر على رأسي أليس وماريسا أثناء ترديدها ترنيمةً احتفالية:

«فلتدخل حاملتا الأسرار حديقة الأسرار من بوابتها السرية. فالحديقة تقبلكما سـاكنتين دائمتين. فامشـيا بثقة من يمتلكها وحافظا عليها وكأنها أعز أحبائكما».

انحنت أليس وماريسا بكل امتنان وسرور والتيجان الجميلة تزين رأسيهما؛ والنطاطات تغني فرحاً وتقفز حولهما. أدى عازفو الأوراق مقطوعـاتٍ احتفاليـة. أمـا أقزام الطحالـب فتحولوا إلى عجلات تدور وتدور من شعورها بالغبطة، وتحول كل ما تلمسه أقدامهم إلى طحالب!

قالت الجنيات: «احضرا مساءً إلى أسفل أعظم شجرة بلوط في الحديقة».

سألت أليس: «وما الذي سيحدث هناك؟»

«احضرا بصفتكما ساكنتين دائمتين في الحديقة وستشاهدان ما يحدث».

أمضت أليس وماريسا مساء ذاك اليوم تفتشان عن شجرة البلوط العظيمة في مركز الحديقة. ولم يكن إيجادها بتلك الصعوبة نظراً لحجمها الهائل وضخامة جذوعها التي يتشابك بعضها ببعض لتكون تاجاً كبيراً، كان جذعها غليظاً لدرجة أننا سنحتاج لعشرين فتاةٍ (عشر فتيات كأليس وعشر أخريات كماريسا) تلف أذرعهن حول الجذع ليتمكنّ من تطويقه!

أما أسفل الشجرة العظيمة، فخيم السكون تماماً ولم يبدُ أن أحداً قد حضر.

دارت الفتاتان حول الشجرة بحثاً عن علامات أو إشارات محفورة على الجذع الكبير؛ وقرعتا عليه بانتظار جوابٍ لم يأتِ؛ صفرتا وهمستا ولم يغير ذلك من واقع الأمر شيئاً. بل قبعت الشجرة في مكانها موحيةً بعظمتها وفخامتها في سكون مهيب. حتى إنهما فحصتا عقدة من الجذور قرب القاعدة لتتسلقا عليها لكن دون جدوى.

حاولتا وحاولتا حتى أُنهكتا وقررتا العودة مساء الغد فربما يتكشف سر الشجرة لهما. ماذا إن كانت جنيات الريح مخطئات حول موعد مجيئهما؟ فذاك احتمالٌ ليس بعيداً نظراً لتبدد الأيام السريع داخل الحديقة. وما أن همت أليس وماريسا بالرحيل حتى سمعتا نخيراً ضعيفاً وأحدهم يصيح خلفهما:

«هووو».

التفتت الفتاتان إلى شـجرة البلوط. هل هذا الصوت صادرٌ منهـا؟ لكـن صوت النخير بدا كأنه يصـدر عن... وفجأة برز من ثقب في الشجرة رأس بوم صغير مكسو بالزغب.

نعـق البـوم قبل أن يكمل: «هووووو من الذي أفسـد عليّ حلمي؟».

بـدا البـوم غاضبـاً، لكنه لم يكلف نفسـه بفتح عينيه. بومٌ صغيرٌ جداً لا يزيد حجمه عن قبضة يد أليس. كان ريشـه بنياً منقطاً، وبدا مغروراً جداً.

أجابته ماريسا: «نحن من أيقظك».

وبمزيـدٍ مـن الانزعاج والتكلف فتح البوم عيناً واحدة ذات نظراتٍ صفراء ثاقبة وأكمل:

«أقلتما نحن؟ من أنتما؟»

«أنـا أليـس». أجابتـه أليس ثم قالت ماريسـا بدورها: «أنا ماريسا، لكن من أنت؟».

فتح البوم عينه الأخرى سخطاً من سؤالها وأكمل:

«من أنا؟ هووو أتسألان من أنا؟».

«نعم، هذا ما سألناه».

خرج البوم من مكمنه في الشجرة، وتقدم نحو أحد الأغصان. نفـض ريشـه، وتكللت كلماته بالجـلال والمهابة عندما قال: «أنا أدعى غراب».

تبادلت أليس وماريسـا نظرات التعجب والاسـتغراب وقالتا معاً:

«أنت تعني أن اسمك بوم أليس كذلك؟».

حـدق البـوم بذعرٍ وأدار رأسـه بزاويةٍ أصبحت فيها إحدى عينيه فوق الأخرى مؤكداً:

«لا، هذا ليس اسمي، اسمي غراب».

«لكنك بوم فأنّى لك أن تكون غراباً؟»

أجاب البوم محتداً: «بالطبع أنا بومٌ أليس هذا واضحاً؟».

«نعـم إذا لـم...» نطقـت ماريسـا بهذه الكلمـات قبل أن يقاطعها البوم قائلاً:

«أنتما هنا الآن لأن اليوم هو يوم البو».

تعجبت أليس قائلةً: «ماذا؟».

«يوم البو. وهذا موعده.. اليوم».

قالت ماريسـا: «لكن لا يوجد يوم من أيام الأسـبوع يحمل اسـماً كهـذا؛ فهناك الاثنين والثلاثـاء والأربعاء والخميس لكن لا يوم بـ...»

قاطعها البوم بقوله: «آه، إذا اليوم القمراء!»

«لا بل يدعى الأربعاء».

«نعـم، كمـا قلت لتوي. القمراء. يا لك من طفلة سـاذجة. سأعود لأؤكد ما يعرفه الجميع أن اليوم هو يوم البو».

ترقبت أليس وماريسا تفسيراً من البوم الذي باح بالتالي:

«كم أتمنى أن أكتب بغموض قطة».

لـم تعـرف الفتاتان ما مغـزى عبارة البوم ولا مقصد كلامه. وكانت أليس هي من صرحت فقالت:

«لكنـي حقـاً لم...» وما أن فاهت بذلك حتى سـارع البوم للرد بالقول:

«الشاعر العظيم إدغار آلان بويت».

همســت ماريســا: «ألم يكن اسم الشــاعر إدغار آلان بو؟» لأليس التي أومأت برأسها موافقةً.

«هووو» هتف غراب مقاطعاً: «أنتما على خطأ، إن الشاعر بويت الحقيقي هو من يستطيع الكتابة بغموض قطة».

أجابت ماريسا على مهلٍ: «حسناً».

على غفلة سُــمعت ترنيمة جوقةٍ من خلف أليس وماريســا تقول: «موعد المطالعة الإلزامية في يوم البو». فاستدارتا لتشهدا وصول ساكني الحديقة في جماعات؛ فها هم ساكنو لحاء الأشجار وجوالة الليل آتون معهم؛ وهناك أيضاً ناســجو الأحلام قد جاؤوا حامليــن معهم أقمشــتهم المطرزة بالمســلات اللامعة؛ ورفرفت جنيات الريح حول رؤوس جميع من أتوا.

ســألت أليــس إحــدى الجنيــات: «ما هو موعــد المطالعة الإلزامية؟».

فأجابتها الجنية: «في كل يوم بو، نحضر جميعاً إلى شجرة البلــوط العظيمــة لموعد مطالعة بيوم البو، فها هم كل ســكان الحديقة حاضرون هنا».

«لكــن لــمَ المطالعــة إلزامية؟» سألت ماريسا ثم أردفت: «ألا تحبون المطالعة؟»

جاء دور أحد أقزام الطحالب ليجيب موضحاً: «نعم بالطبع نحب المطالعة، لكننا في كل موعد للمطالعة علينا أن نقرأ للكاتب نفسه...».

قاطعه غراب صارخاً: «الشاعر إدغار آلان بويت، اليوم، سنقرأ قصيدةً حول أنابيل لي، وأقتبس منها:

مضى الكثير والكثير من العام المنجلي
في مملكة قابعةٍ قرب البحر،
عاشت بتولٌ تدعى أنابيل لي؛
بتولٌ لا تفكر سوى بخاطرة لا غير
أن تتبادل الحب والهيام معي».

شارك سكان الحديقة جماعةً بتلاوة القصيدة، منهم من دندن وتمتم الكلمات وآخرون أنشدوا القصيدة عن ظهر قلب.

تعجبت أليس مما حدث موجهةً سؤالها لواحدة من ناسجات الأحلام قربها: «ألا تقرؤون شيئاً عدا هذه القصيدة؟».

فتنهدت الناسجة مجيبةً: «لسوء الحظ لا، هذه لا غير، أرجوك لا تسيئي فهمي فهي قصيدةٌ بديعة رائعة، لكن قليلاً من التغيير بين الفينة والأخرى سيكون أيضاً ممتعاً وبديعاً».

تدخلت ماريسا هامسةً: «إذن لمَ لا تقومين باقتراح مقطعٍ آخر للمطالعة؟».

أنهى غراب القصيدة ووجه نظرته الثاقبة الصفراء إلى أليس وماريسا وعندها تلاشت جميع الأصوات والهمسات وساد الصمت قبل أن تقطعه كلمات غراب الذي تحدث بتشدد وعبوس:

«أنتما أيتها الفتاتان لا تظهران أي احترامٍ لهذا اليوم - البو - علماً أنكما الآن ساكنتان دائمتان. لكني أرى أن السبب في ذلك أنكما لا تنتميان لهذا المكان بل قدمتما من مكان آخر».

وافقته ماريسا برأسٍ مرفوعٍ فخراً:

«بالفعل، قدمنا أنا وصديقتي من عالمٍ مختلفٍ بكل معنى الكلمة».

بغتـةً توقـف غـراب على أحد الأغصان، وأدار رأســه دورةً كاملةً قبل أن يكمل:

«إذاً أنتما المعنيتان».

سألت أليس: «المعنيتان بماذا؟»

«نعــم، هــووو، هــاا!، أنتمــا الفتاتــان، ذواتــا الأهميــة الكبرى».

لتتثبت عيناه بنظراته دونما أي حركة، فبدا كأنه بحالة من الذهول الشديد.

«ستتغير جميع الأشياء، ولن يبقى عالمنا كما هو بعد اليوم. عندما تسقط فتاتان في حفرة الثلج وتدخلان الحديقة، وتعبران البحر، ستتحقق الأحلام وستعود الحقيقة حلماً مرةً أخرى».

بــدت عبــارات غراب مقتبســةً من نبوءة عتيقةٍ. أمســكت ماريســا بيــد أليــس؛ كان الطابع العام قــد تغير من جذوره، زاد الغم في حفيف الأشجار، وتشرب الضوء بمزيجٍ غريبٍ من الأشعة الرمادية والحمراء المتقلبة. بدا الجو وكأن جميع سكان الحديقة قد توقفوا عن التنفس في تلك اللحظة؛ أما أليس فشعرت بتوتر وتشنج لم تعرف مصدرهما.

حرّك غراب رأســه، ونفش ريشــه، ونظر نظرة من اســتيقظ لتوه مترنحاً.

ثم عاد الجو إلى ما كان عليه، وعادت إليه ألوانه وأحاسيسه.

«هــووو، هــووو هووهوو، هذا إذاً ما كان الأمر، وهذا ما هو عليه. أشعر الآن بالتعب».

قالهـا غـراب قبل أن تبدأ عيناه بالإغماض ويفتح فمه على وسعه متثائباً؛ متمتماً بعدها:

«أنتما الفتاتان إذاً، لكنكما لسـتما مسـتعدتين بعد. لم لا تذهبان وتعودان بعد أسـبوع. ولتجلبا معكما الكثير والكثير من القهوة».

استسـلمت عينـا غراب للكرى، وأغلقتـا معلنتين غرقه في نوم عميق.

اتجهت أليس إلى السكان الباقين سائلةً إياهم: «ألا يتوجب علينا إيقاظه؟»

رفض الجميع الفكرة بتحريك رؤوسـهم بما يشـير إلى ذلك؛ فهم بلا شك مسرورون من انتهاء موعد المطالعة الإلزامي بهذه السرعة.

مدت إحدى ناسجات الأحلام قطعةً من قماش الأحلام فوق البـوم بحرصٍ. رُسـم علـى القماش فتاتان ترقصـان فرحاً، فتاتان تشبهان أليس وماريسا إلى حد بعيد.

6. الفراولة وتوت العليق

أيقظ البرد أليس قبل الفجر، فقد استحوذت ماريسا على البطانية بأكملها وكانت تتكلم أثناء نومها ببهجة وسرور. بدأت أليس بشد أحد جانبي البطانية ناحيتها، لكن ماريسا تشبثت بها وشدتها بإحكام حولها مطلقةً شخيراً قصيراً إضافياً!

ما أثار غضب أليس؛ فهي متعبة وتشعر بالنعاس وبالبرد القارس أيضاً، ما دفعها إلى وكز ماريسا حتى استفاقت وتساءلت وهي لم تستحضر تركيزها بعد: «ماذا هناك يا أليس؟».

جاء جواب أليس لاذعاً: «لا تتشبثي بالبطانية بيديك وقدميك!».

أرخت ماريسا نصف البطانية إلى جهة أليس متمتمةً: «حسناً، بالطبع». قبل أن تعود للنوم.

أما أليس فلم تستطع أن تنام، بل أخذت تفكر بما قاله غراب وخاصة الجزء الذي قال فيه إنهما «ذواتا الأهمية الكبرى». فما دورهما الهام ذاك يا ترى؟

نادت أليس ماريسا بصوت واهن: «ماريسا».

لكن ماريسا لم تنبس بكلمة بل أخذت تشخر بصوت عالٍ؛ رفعت أليس صوتها لتوقظها: «يا ماريسا!!».

عندها استيقظت ماريسا، وبان عليها شيءٌ من الغيظ وقالت: «ماذا تريدين مني الآن يا أليس؟».

«ألم تفكري بما قاله غراب؟».

«لا، لم أفكر» أجابتها ماريسا قبل أن تبدأ بالتثاؤب.

«هل كان كلامه جزءاً من نبوءة ما؟ أعلينا أن نقوم بمهمةٍ أو نوصل رسالةً ما هنا في أرض الأخوات؟ وهل مهمتنا آمنة أم تحفها الأخطار؟».

أيقظت أسئلة أليس الكبيرة ماريسا بشكل تام فأجابتها: «لا أعلم، علنا نكتشف الجواب الأسبوع القادم».

«ألست قلقة؟».

«وماذا سيفيدني القلق؟ فما هو آتٍ سيأتي».

زادت طمأنينة ماريسا وهدوؤها من كدر أليس التي سألتها: «كيف تستطيعين قول هذا؟».

نطقت أليس كلماتها بنبرةٍ مزعجةٍ وصاخبةٍ أعلى مما قصدت أن تنطق به.

نهضت ماريسا وقالت متعجبة: «أليس، يا صديقتي العزيزة، جل مطلبي الآن هو أن أنام لأنال قسطاً من الراحة وأؤجل التفكير بأمور كهذه حتى الصباح!».

قفزت أليس أثناء قولها: «إذاً لمَ لا تنامين في الحال!؟ وسأذهب أنا إلى مكانٍ آخر حتى أترك جلالتك للراحة الملكية التي تستحقينها!».

انطلقت أليس في طريقها، لم تكن تشعر بالبرد الذي أحست به وهي مستلقية أرقة إلى جانب ماريسا. وأيقظ وقع قدميها الأزهار المتسائلة من نومها الخفيف لتبدأ أسئلتها: «لمَ كل هذا التجهم والحنق؟ ما سبب كل هذه الخبطات القوية؟»

جاء ردّ أليس الغاضب: «إنها ماريسا المزعجة».

«لـمَ هـي مزعجة؟ ما الذي قامـت به لإزعاجك؟ هل أنت مغتاظة من ذلك؟»

مكتبة

«لا أريد الإجابة عن أي سؤال الآن!»

هذا ما قالته أليس تاركة الأزهار المتسـائلة لأسـئلتها التي لا تنتهي.

بعد أن سـارت لبعض الوقت، وجدت نفسـها في منتصف بقعةٍ من التوت البري. وانتشـلتها رائحة التوت النفاذة من ثورة الغضب الشديد التي اجتاحتها.

التـوت فاكهة ماريسـا المفضلة. تذكـرت أليس يوم أعلمتها ماريسـا بذلك بعيد وصولهما إلى تجمع التوت هاهنا، وتذكرت أيضاً كيف أبت أن تبتعد عن شجيرات التوت حتى بعد أن أكلتا ملء معدتيهما وأكثر.

استغرقت أليس في ذكرياتها أكثر واسترجعت قول ماريسا: «بإمكاني تذوق روح أيام الصيف جميعاً في حبة توتٍ واحدةٍ».

فجأة تلاشى غضب أليس في مهب الريح. اختفى كل حنقها على ماريسا بسرعة جعلتها تشك أنها غضبت منها يوماً!

تناولت طاسـة خشـبية من جيبها من صنع سـاكني لحاء الخشب وشرعت تقطف التوت لتحمله إلى ماريسا كقربان سلامٍ وصداقة!

انتقـت حبـات التوت واحدةً تلو الأخـرى، الحبات الحمراء الجميلة والكبيرة؛ قطفتها كلها ولم تتناول أياً منها.

عندمـا عـادت أليـس إلـى مـكان نومهما كانت ماريسـا تجلس على إحدى الأرومات بانتظارها والشـمس ترسـل أشـعتها الصباحية.

مشت أليس إليها مخبئة طاسة التوت الأحمر خلف ظهرها كمفاجأة.

بانت نظرات ماريسا العابسة من بين خصلات غرتها. أما زال الغضب متقداً في نفسها؟

لم تكد أليس تفتح ثغرها حتى فاجأتها ماريسا بطاستها الخشبية المملوء بالفراولة - فاكهة أليس المفضلة - قائلةً:

«أنا آسفة. كان ذلك تصرفاً أحمق مني».

بدورها قدمت أليس طاستها الخشبية المليئة بالتوت لماريسا ضاحكةً. ووجدتا مساحةً صغيرة من العشب لتفترشاها بما تحملانه من توتٍ وفراولة وأخذتا تتناولانها حبة من كل منهما على التناوب، فمذاق الثمار ألذ وأشهى عندما يتناولانها على العشب.

بدا صدى ضحكات ماريسا كأجمل لحنٍ سمعته أليس بحياتها. فيه شيءٌ من حس المغامرة الصارخ بالبراءة والصدق. كان صدى ضحكاتها كمياهٍ غازية تفور في بركان من الفقاعات

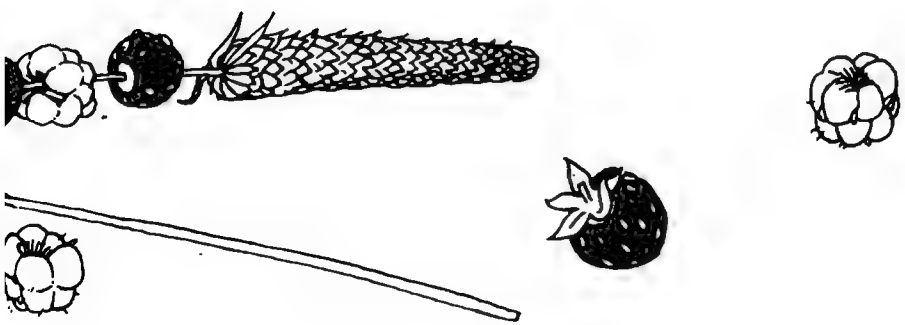

يصل عباب السماء. لم يسبق لأليس أن رأت أو سمعت ضحكةً معديةً مماثلة!

أفضل ما في ضحكتها هو تناغمها العذب مع ضحكة أليس؛ كأنهما تكمل إحداهما الأخرى، كالفراولة والتوت البري.

في تلك الليلة، أثناء اضطجاع الفتاتين على العشب تحدقان إلى سماء الدجى ونجومها الاستثنائية اللامعة؛ مدت ماريسا يدها تختطف يد أليس لتقتفيا معاً أثر كوكبة النجوم.

«انظري إلى كوكبة التنين». قالتها ويدهما تقفز من نجمةٍ إلى أخرى ترسم رأس التنين فأجنحته ثم ذيله الطويل.

شاهدت أليس التنين بعد أن رسمته ماريسا في عرض السماء. لتتابع ماريسا وتقول: «وها هو المتحول» أثناء رسمها صورة كائنٍ يغير شكله من ذئبٍ إلى حشرة ثم يعود إلى ذئبٍ.

وتساءلت أليس مبتسمةً: «ماذا عن غراب؟».

«آهٍ، نعم. غراب. ها هو هنا». أجابتها ماريسا وهي تمرر

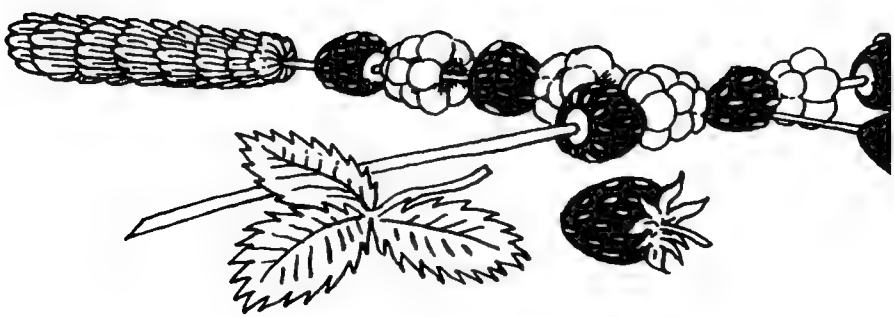

يديها فوق النجمات ترسم جناحيه وريشه ثم عينيه الكبيرتين المتألقتين.

غمر أليس إحساس عجيب بالعوم. أحست أنها تستطيع الرسم للمرة الأولى في حياتها، أن تجيد الرسم بالفعل، طبعاً ذلك بمساعدة ماريسا.

سقطت يداهما على العشب وأصابعهما متشابكتان.

همست ماريسا: «عندما أنظر إلى السماء يا أليس، عندما أنظر إليها لوقت طويل، أشعر أني أقع؛ لكني أقع باتجاه الأعلى».

بدت أليس وكأنها تطير فرحاً عندما شاركت ماريسا قولها: «وأنا مثلك؛ لطالما أتاني الانطباع ذاته عندما أرنو إلى النجوم».

«أتعلمين.. إنني أتساءل بالفعل عن سبب وجودنا هنا» باحت ماريسا لأليس. «ماذا لو كنا نرأس مهمة خطيرة جداً؟ وهذا في غاية السوء.. فأنا لا أمتلك ميزة البطولة!».

تنهدت أليس وهي تقول: «وأنا أيضاً لا أظنني أمتلك ميزة البطولة».

دارت الأفكار وجالت في الصمت الذي حل قبل أن تقطعه ماريسا فتقول: «في الواقع، لم ينتبني القلق بعد، أتعلمين لماذا؟».

«لماذا؟».

«لأني أعتقد أنه يمكننا معاً أن نصبح بطلتين».

«نعم، هذا صحيح».

وصلت عبارات ماريسا إلى قلب أليس لتملأها سعة المحيط من النور والألوان حتى في ظلام هذه الليلة الدامس.

أليس بدورها، حدقت مطولاً إلى صديقتها أثناء تأملها نجوم هذه الليلة. لم يكن لأليس صديقةٌ مقربةٌ قبل اليوم!

في الليلة التالية، أيقظ البرد أليس، ليس لأن ماريسا كانت تلف البطانية حول جسدها، فهي لم تكن إلى جانبها أصلاً؛ لقد اختفت ماريسا وكذلك اختفت الحديقة أيضاً. كانت ماريسا في غرفةٍ مظلمةٍ ينتشر الصقيع في زواياها.

اعتدلت بجلستها على الأرضية الصلبة، ثم قررت أن تقف لتتلمس طريقها بحذر حتى لامست يداها جداراً بارداً. فتشت في الأرجاء عن مأخذ الإنارة حتى وجدته. لينير المصباح المتأرجح من السقف الغرفة الصغيرة المغلقة الفارغة، ولكن ما رأته صدمها فالغرفة كانت خالية من الأثاث ولم يكن لها باب. وكانت الجدران والأرضية مطلية باللون الرمادي، أما نافذة الغرفة الوحيدة فكانت مغلقة وغير نافذة.

تقدمت باتجاه النافذة محاولة فتحها، لكن من الواضح أنها مغلقة بإحكام فزادت من قوة شدها حتى سمعت صريراً ثم زحف الثلج الأبيض إلى الداخل.

قادها الذعر الذي شعرت به إلى دفع النافذة حتى أغلقتها. لكنها لم تشعر بأصابع يديها وقدميها من شدة البرد وحتى أسنانها كانت تصطك!

نادت أليس خوفاً: «يا ماريسا؟».

بدأ صوت خافت يصدر من خلف أحد الجدران. لم تستطع أليس تمييز ما يُقال من كلمات بل هرعت إلى الجدار تطرقه بقبضتها صارخةً:

«ماريسا؟! هل هذه أنتِ؟»

وبثانيةٍ تحول الجدار إلى جدارٍ زجاجي رأت أليس عبره؛ لكن ما من أثر لماريسا في الطرف الآخر، بل رأت عائلتها هناك! ها

هو والدها ووالدتها وأختها في مكعبٍ ثلجي، غارقون فيه حتى وسطهم يستنجدون وصوتهم يتضح أكثر فأكثر: «النجدة، نحن نغرق! تعالي يا أليس وأنقذينا قبل أن نهلك!».

فشلت أليس في تحطيم الجدار؛ وأحست بحرقة دموعهم المذروفة تلسع وجنتيها فصاحت: «أنا أبذل قصارى جهدي!». وبثانيةٍ خاطفةٍ أخرى، انقلب كل ما حولها إلى اللون الأسود. لامس شيءٌ دافئٌ خدها، أحست بعده بيدٍ تربت على رأسها بحنان وصوت ماريسا يهمس: «صه. هذا مجرد كابوسٍ مريع».

تنهدت أليس حين قالت: «لكنه.. لكنه بدا حقيقياً للغاية».

عانقتها ماريسا قليلاً لتوصل الطمأنينة والأمان إلى قلبها، قلبها الذي تسلل إليه الهلع الجليدي من الكابوس الذي أبى أن ينمحي.

7. النبوءة

بعد مضي الأسبوع المرتقب عادت أليس وماريسا لزيارة غراب. أسبوع مضى أحصتا أيامه يوماً بيوم حتى لا تخطئا فتتأخرا عن موعدهما. جلبتا من جنيات الريح ذاك الصباح فنجاناً كبيراً من القهوة؛ على أمل أن تجذب رائحة القهوة الطازجة غراباً خارج فتحته في الشجرة. وهذا ما حدث بالفعل! لتسمعا صوت غراب الوسن يتمتم: «اقتربا من هنا».

وضعتا فنجان القهوة قرب الفتحة لينبثق رأس غراب ما يكفي فقط ليصل منقاره لرشف القهوة. لم يظهر أي تبديلٍ أو تحوير على حالة غراب! فبدا كأنه سيعود للنوم من جديد. إلى أن جحظت عيناه فجأة؛ لم يسبق لأليس أن رأت عينين باتساع عينيه في كائنٍ بحجمه. قفز غراب خارج الفتحة كما يخرج أرنبٌ من جحره، ثم طار إلى غصنٍ قريب تشبث به بقدميه، وبدأ يدور حوله ويتأرجح بانفعال وصوته يهدر:

«أحسنتما بالمجيء إلى هنا اليوم، لديّ أخبار هامة يجب إبلاغكما إياها، وذلك لأن عالمكما في خطر محدق وأنتما فقط من تستطيعان إنقاذه...»

أخبرهما غراب بسرعة فلم تتمكنا من إدراك ما يقول. فاستفهمت ماريسا: «أقلت للتو أن عالمنا في خطر ونحن فقط من نستطيع إنقاذه؟»

« نعم هذا ما قلته، وهذا ما ورد النبوءة».

قال غراب جملته تواتراً مع بدء شقلباته الخلفية! بدا أن تنبيه القهوة أشد وطأة على البوم مقارنة بالكائنات الأخرى.

سألته أليس: «ولكن ماذا ذكرت النبوءة بالتحديد؟».

«ستأتي صديقتان مقربتان من عالمٍ آخر».

تبادلت أليس وماريسا النظرات بعد كلام غراب، ثم شبكتا يديهما؛ قالت أليس تعقيباً: «نحن صديقتان مقربتان هذا شيء مؤكد؛ لكن ما هو الخطر الذي يواجه عالمنا؟».

«يتساقط الثلج بكثافة في عالمكم، لن يستغرق الأمر وقتاً قبل أن يغمر كل شيء».

«هل السبب وراء ما يحدث هو خطب ما في هذا العالم؟»

«تحكم عالمنا ملكة، هي من ترسل كل الثلج».

سألت ماريسا: «ملكة؟ حقاً؟ أين تعيش ملكتكم هذه؟».

«تعيش في مكان لا يعلمه أحد». أجابها غراب بثرثرة طفولية ترافقت مع رقصة تنوعت حركاتها بين القفز والسير بغرابة وسذاجة.

أضجرت حالة غراب أليس، وزاد في انزعاجها أحاجيه والأسرار في كلامه فسألته:

«أنّى لنا إذاً أن نجدها؟».

«عليكمـا أن تقطعـا البحر لتجـدا المفتاح داخل القلب ثم أن...».

قاطعته ماريسا بسؤالها:

«تريث قليلا يا غراب! هل علينا اجتياز البحر؟».

أكملـت أليـس السـؤال: «والبحث عن مفتـاح مخبأ داخل قلب؟»

«نعم، نعم أيتها الفتاتان نعم نعم، عليكما أن تحررا مدينة الملاهي ثم أن تضعا أيديكما على التنانين».

تبادلت الفتاتان النظرات بحيرة واسـتغراب قبل أن تحاول أليس استيعاب الحديث بتكراره:

«قال شيئاً عن مدينةٍ للملاهي وعن بعض التنانين؟»

فكّرت ماريسا قليلاً قبل أن تستطرد:

«علينـا أن نحـرر مدينـة الملاهـي؟ و... نضـع أيدينا على التنانين؟ أنا حقاً لا أملك أدنى فكرة حول معنى ما قلته!»

«اتجها إلى شاطئ البحر وهناك تبدأ رحلتكما».

سألت أليس: «كيف لنا أن نصل إلى الشاطئ؟»

«عليكما حتماً أن تستدعيا المتحول».

لمعـت الذكـرى البعيدة القريبة في ذهن أليس وهي تردد «استدعيا المتحول» إذ

تذكرت وعدها بدعوته لدخول الحديقة حين تصبح من الساكنين الدائمين لحديقة الأسرار.

طـار غـراب بانفعال وباضطراب إذ حلـق بتهور متجهاً من أعالـي السـماء إلـى الأرض وجناحاه مثنيان على طرفي جسـمه الصغيـر لا يفتحهمـا إلا قبل أن يحط. بدا إبان حركاته البهلوانية تلك أن جعبته قد خلت من التعليمات الغريبة والنبوءات السرية. فشكرته الفتاتان وهمتا بالرحيل.

هتف غراب: «اتركا لي القهوة!»

تركت أليس وماريسا الفنجان عند قاعدة شجرة البلوط. كانتا منهمكتين بالتفكير وهما تسيران؛ ولا يقطع حبل أفكارهما سوى صرخات غراب وهتافاته الجامحة بعد كل رشـفة قهوة مسـتمراً بتحليقه ورقصه وشقلباته ودورانه.

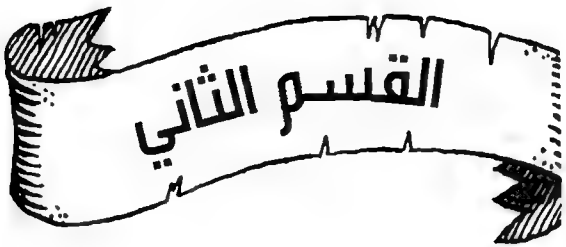

الرحلة

8. ما قاله المتحول

جمعت أليس وماريسا السكان في أحد مروج حديقة الأسرار المزهرة.

بدأت أليس تتكلم:

«أعزائي سكان حديقة الأسرار من جنيات الريح وناسجات الأحلام، الزهرات المتسائلة، ساكني لحاء الأشجار، النطاطات، جوالة الليل وأقزام الطحالب وغيرهم من الأعزاء الذين لم نعرف ألقابهم بعد، أتوجه بالكلام إليك أيضاً يا غراب الموقر. ألتمس منكم أمراً وأنا أقف أمامكم الآن كساكنة دائمة ذات حقوق في هذه الحديقة».

أجابتها الجنيات: «تفضلي وأدلي بمطلبك».

«أما أنا فأريد المزيد من القهوة.» قال غراب لكن الآخرين سارعوا لإسكاته حتى يصغوا لأليس التي أكملت:

«أود دعوة المتحول إلى الحديقة».

زادت الغمغمة المشدوهة على امتداد المرج.

اشرأبت الأزهار المتسائلة الكثيرة ببتلاتها تسأل:

«ما هذا الذي قيل؟ لم قالت هذه الفتاة ما قالته؟ ماذا تعني بقولها؟ ما الذي يحدث؟!»

استمر اللغط وشارك فيه الجميع.

همست ماريسا بدورها في أذن أليس: «ما خطب الجميع يتحدثون هكذا؟».

t.me/ktabpdf

هزت أليس رأسها بحيرة واستغراب.

مضى وقت قصير قبل أن تهدأ القلقلة بعض الشيء؛ كانت جنيات الريح أكثر الساكنين تخوفاً فأعادت سؤالها:

«هل أنت واثقة من مطلبك؟».

لتجيبهـا أليـس: «كل الثقة، لم يبدُ أن لديكن اعتراض على دعوته؟»

«منذ أمدٍ بعيد، سكن المتحولون حديقة الأسرار بهناء حتى أتى اليوم المشـؤوم الذي بدأ عنده النزاع. يوم احتشـدت فيه جماعات المتحولين حول منطقة الجنيات وهناك وقعت الصدامات وتكسـرت الأجنحة الرقيقة. وبالنتيجة التهم أحد المتحولين على هيئة ذئب إحدى الجنيات وادعى أن ذلك محض حادثٍ نتج عن تثاؤبه وبلعه للجنية متأثراً بتوتره واضطرابه مما حدث.

لكـن مـا حدث قـد حدث والضرر قد حـلّ. وحظر دخول المتحوليـن الحديقـة إلا بدعوةٍ من أحد السـاكنين. كما تفعلان الآن، شرط أن يحسنوا التصرف».

أكدت أليس: «أنا أثق أن صديقنا سيحسن التصرف».

وأياً يكن الأمر، لم تكن أليس واثقة كل الثقة بما صرحت به؛ فربما بدت عينا المتحول لطيفتين، لكنه لا يزال وحشاً مفترساً.

«إذاً، فلتتحملي مسؤولية دعوته. وسنغادر قبل وصوله».

حرّكت الجنيات أجنحتها مبتعدةً تحملها دوامات الهواء، وآب بقية السـكان إلى أشـجارهم ومنازلهم، وفرش غراب جناحيه في الأفق وهو يثرثر عما بدا أنه فنجان من القهوة سريعة التحضير.

وجهت أليس سؤالاً لماريسا:

«أتعتقدين أن دعوة المتحول هي تصرف حكيم؟».

فردت ماريسا:

«لا أعلـم، ولكـن يجب علينا القيام بـه، فهذا ما طلب منا غراب القيام به!»

«إذاً هذا ما سأفعله، سأدعو المتحول».

أغمضت أليس عينيها لتتيح المجال أمام مخيلتها لاستحضار المتحـول ليقـف أمامها بجناحيـه الملونين وعينيـه الذهبيتين ومعطفه رمادي اللون. لكنها لم تسـتطع الاسـتقرار على شـكلٍ واحد بل ظل يتحول إلى ذئب وبالعكس.

نعم، لم يكن لدى أليس أدنى فكرة عن كيفية اسـتدعائه، وعلى حين غرة وجدت نفسها تهمس:

«حوّل شكلك يا متحول، حوّل شكلك يا متحول، حوّل شكلك يا متحول».

أعادت كلماتها الهامسـة ثلاث مرات، فتحت بعدها عينيها لتجد أنها تقف وحيدةً، لا أحد في مرمى النظر إلا ماريسا على الجهة الأخرى من المرج. ظنت أليس أن همسها لم يكن استدعاءً صحيحاً للمتحول، حتى لفت سمعها طنينٌ مألوف لجناحي فراشة!

فها هي الفراشة الوامضة تطير باتجاه الفتاتين ثم تحط على إحدى الصخور أمامهما لتتحول بعدها إلى ذئب.

بمكـوث الذئـب علـى الصخـرة أمـام أليـس فطنت إلى أحاسيسـها العارمة بالشوق إليه؛ واقتربت منه الفتاتان لاحتضانه بقـوة فانبعثـت منه رائحة بدت جد غريبة ومألوفة. وكلما طال التفاف يدي أليس حوله زاد شعورها بالاشتياق. لقد كان معطفه شديد البرودة وكأنه وصل لتوه من مكانٍ متجمدٍ.

هـذا المتحـول الذي حضرت بحضوره ذكريات العالم الآخر

الذي تركت فيه عائلتها وحضرت مع الأخيرة دموع أليس.

قـال المتحول: «قمتِ باسـتدعائي لسـببٍ مـا أيتها الفتاة الصغيرة».

أجابتـه أليس وقد اغرورقت عيناها بالدموع: «هذا صحيح، علينا أن نجد ملكة أرض الأخوات بعد أن نقطع البحر؛ وسـمعنا أنك تستطيع إيصالنا إلى الشاطئ».

«أتقصدين الملكة ليلي؟».

تدخلت ماريسا باستعجال: «أتعرفها؟». إذ كانت على مقربة ووصل الحديث إلى مسامعها.

«نعـم، نعـم هي ملكة مخيفـة وخبيثة جداً، أخطر وأخبث

مما أستطيع أن أصف».

جاء رد ماريسا لاذعاً بعض الشيء:

«يرى البعض أنك أنت كائنٌ مخيفٌ وخبيثٌ جداً».

ردّ عليها الذئب شاخراً.

سألت أليس: «أيمكننا أن ننطلق من الشاطئ حالاً؟».

«لا، ليس قبل منتصف الليل».

سألته ماريسا: «لمَ منتصف الليل بالتحديد؟»

«لأن عليك أن تقومي ببعض الأمور في الظلام الدامس».

أنهت عبارة المتحول استعلامات الفتاتين وأسئلتهما.

بحلول منتصف الليل، تشـــمم المتحول حول أليس وماريسا

ولكزهما حتى استفاقتا على صوته يقول:

«فـي مـكانٍ غيـر بعيد، تنام جنيات الريـح، هذه الجنيات الشهية الطيبة...»

«لا. عليك أن تبقى بعيداً عن الجنيات». قالت ماريسا بحزم.

«لا أريد أكثر من واحدة لتقيني جوع الرحلة..؟».

أجابته أليس:

«لا. لقد وعدنا سكان حديقة الأسرار أن تحسن التصرف».

زفر المتحول بحسـرة وألم. وبدّل شـكله إلى ذئبٍ أكبر من الذئـب العـادي بضعفين وطلب من الفتاتيـن أن تمتطيا ظهره ففعلتـا. جلسـت ماريسـا أمام أليس التي أحاطـت يداها خصر ماريسـا وأسـندت خدها على ظهر صديقتها؛ والذئب يركض في عباءة الليل السوداء.

في الليل، تكون العطور التي تعبق في الحديقة مختلفة عن تلـك التـي تعبق فـي النهار؛ كما يمكن لليل أن يجلب النداءات الهامسة غير الواضحة وصوت أجراسٍ صغيرة تقرع.

ركض الذئب الضخم بخطواتٍ خفيفة رشـيقة ولسـرعته بدا أن حوافره لا تكاد تطأ الأرض.

تحولـت الحديقـة في بعض الأحيان إلـى غابةٍ، وبدت في أحيـان أخـرى لا تحوي سـوى المروج الخضـراء حيث بلل ندى المساء أقدامهما.

شـعرت أليس بتقلص عضلات المتحول وتمددها وبخفقان قلب ماريسا ما أمدها بجرعةٍ من الاطمئنان؛ شعرت بالأمان مع أنهـا تجهـل مـا ينتظرهما ولكن المهم بالنسـبة إليها أنهما كانتا ستواجهانها معاً.

عندما وصلوا إلى الشاطئ استقبلتهم الأقمار الخمسة لأرض الأخوات الخمسة التي ألقت خيوطها الفضية على موجات البحر.

قال المتحول: «يُدعى هذا بالبحر العياني».

رددت أليس مستغربةً: «البحر العياني؟ ما معنى العياني؟».

«ستعلمان في الوقت المناسب».

امتد في عرض البحر رصيف ميناءٍ ترسو عند نهايته سفينة.

«هذه سفينة الومضة. عليكما أن تتسللا إلى متنها، لقد أتينا ليلاً لتسهيل تحرككما خلسة أثناء نوم طاقم السفينة».

استفسرت ماريسا:

«لمَ علينا أن نتسلل إلى متن السفينة بدلاً أن نطلب من طاقمها أن يقلونا؟»

«طاقم الومضة جاد جداً وصارم وخاصة عندما يتعلق الأمر بفتاتين واهنتين تتسببان بالمزيد من المتاعب. احرصا أن تختفيا عن الأعين حتى تصبحا في عرض البحر ولا يعود بإمكان السفينة...».

قال جملته الأخيرة بحزمٍ وفي عينيه الذهبيتين شيءٌ من التجهم ما لبث أن زال عندما قال:

«هيا انطلقا، لا داعي للوداع».

أدركت أليس الآن أنه قد يكون الوداع فعلاً، فهي ليست آخر مرة تريان فيها المتحول بل قد تكون آخر لحظاتهما في حديقة الأسرار وسبقتها ماريسا إلى إدراك لحظات الوداع هذه.

احتضنتا المتحول بشدة دون أن تنبسا ببنت شفة؛ غيّر المتحول شكله إلى فراشة ليقبل الفتاتين على كاحليهما مخلفاً مكان القبلة أثر قفلٍ وقال:

«لقد وسمتكما بشارة مباركاتي لكما بالقبلة». قالها المتحول قبل أن يطير عالياً في السماء حتى غاب في ضياء الأقمار.

بدأت الفتاتان تتسللان على طول الرصيف حتى وصلتا إلى الومضة، التي وقف أمامها حارسٌ مقطب الحاجبين تهيأ لأليس أنه أقرب إلى قبطان من أن يكون بحاراً.

كانت ملابسه سوداء رثة، وبنفس الحال كان شعره ولحيته، وتوازنت على خصره عشر سكاكين أو أكثر!.

ولحسن حظ أليس وماريسا مال هذا البحار على حافة درابزين السفينة وارتفع صوت غطيطه.

مرت الفتاتان بالقرب منه بهدوء القطط وحذرها. أمسكت ماريسا بيد أليس تسحبها إلى قوارب النجاة لتختبئا بأمانٍ هناك.

اندستا داخل أحد القوارب واستترتا عن الأعين بقماشٍ سميك فردتاه فوق مخبئهما. وتوارتا عن الأنظار في مكمنهما حيث رقدتا بلا حراك أو كلام.

تجاسرت أليس بسؤالها: «ألا تشعرين بالخوف يا ماريسا؟»

جاء جواب ماريسا: «لا، لا أشعر بالخوف عندما أكون معك».

افترضت أليس أنها لن تتمكن من النوم، لكن تأرجح السفينة المتواصل وستار الظلام، وسكون ماريسا إلى جانبها أوقعاها في نومٍ عميقٍ شبيه بغفواتها عندما كانت صغيرة.

أيقظهما ضوء النهار المباغت الذي تسللت أشعته إلى مخبئهما، ومعها تشبع الهواء برائحة البحر المالح ولاح أنف ذو لونٍ نحاسي يتشمم مقترباً منهما بفضول وحشرية وهو ينبح:

«أنا أشم رائحة أرانب».

يا للهول.. لقد انكشف غطاء أليس وماريسا.

9. البحر العياني

عند مغيب الشمس، اقتيدت أليس وماريسا خارج قارب النجاة إلى سطح السفينة حيث التف طاقم الومضة بأكمله في حلقة مغلقة يتشاورون بشأن الفتاتين. كان طاقم السفينة مؤلفاً من اثني عشر فرداً بين رجلٍ وامرأة، لكنهم جميعاً بدوا بسحنة الحارس ذاتها وبهيئته. شعر أشعث وثياب بالية تحمل كثيراً من المجوهرات والأسلحة. وألوان الحروب قدحت في وجوههم، ويغلب على كلامهم شتائم وسبابٌ لا تجرؤ أليس على نطقه لو عاشت مئة عام!

اصطف بين البحارة الحارس أيضاً وقال بنبرةٍ يملؤها الفخر: «أنا لوكس ثعلب هذه السفينة؛ ومهمتي هنا أن أشم رائحة العواصف الآتية وأرانب الماء».

سألت ماريسا أليس همساً: «من هم أرانب الماء يا أليس؟»

أسكتت ماريسا نظرات لوكس الذي قال مجيباً: «المسافرون خلسةً مثلكما».

اقتربت إحدى العاملات في الطاقم من أليس وماريسا وهي تمعن النظر في ملابسهما، وتخز ذراعيهما ثم تشخر قبل أن تقول أخيراً: «ماذا سنفعل بفتاتين مثلكما؟ أعلينا إعادتكما إلى الشاطئ؟ أم ستقومان بعمل نافع على متن السفينة؟»

استجمعت أليس شجاعتها لتطلب منها: «أريد التحدث مع القبطان من فضلك».

تبـادل أفـراد الطاقـم النظـرات لثانيتين قبـل أن ينفجروا ضاحكين وحتى الحارس المتجهم علا صوت ضحكه مثلهم وسط ذهول أليس وماريسا.

أنهى أحد أفراد الطاقم قهقهاته ليجيب أليس:

«يا لتفاهتك يا صغيرة، الومضة لا تسـير بقبطان، ولا نعمل بألقـاب ومراتـب هنـا، فالكل يقومون بتنفيـذ كل المهام تتابعاً ونقوم بإصدار الأحكام مجتمعين بعد مساهمة كل منا برؤاه حول الموضوع المعني حتى تتجلى الأمور أمامنا كفريق».

غصت أليس قبل أن تقول: «حسناً.. في تلك الحالة..»

لا تزال تشعر بالغثيان، وزادها سوءاً اهتزاز السفينة والأمواج العاتية لكنها حررت أنفاسها لتكمل:

«فـي حديقـة الأسـرار، تحققت النبوءة التـي أعلمنا غراب بتفاصيلها وهي تعنيني وصديقتي ماريسا التي تقف إلى جانبي هنـا. مهمتنـا هنـا في أرض الأخوات أن نجـد الملكة ليلي التي تحكم هذا العالم، والتي تتسبب أيضاً بعواصف ثلجية شديدة في عالمٍ آخر، وهو عالمنا الذي أتينا منه. وقريباً سيختفي عالمنا بما عليه ويُدفن السـكان ومنازلهم تحت الثلج المتراكم. إن مهمتنا تتلخص في إنقاذ عالمنا..».

لم تتمكن أليس من الإكمال بل سارعت إلى حافة المركب لتتقيأ.

سألت إحدى العاملات: «هل أتيتما إلى هنا من أجل مهمة، في كل الأحوال علينا أن نتخذ قراراً بما يخدم رحلتنا وسفينتنا».

سـمعت أليس صوت ماريسـا التي أكملت ببعض الكلمات شرح ما بدأته مضيفة إليه مغامراتها البحرية على متن المراكب المختلفة، وتمرسـها في أعمال الإبحار وكيف أنها سـتكون ذات نفعٍ للومضة.

سـمع الطاقـم كلامهـا، وقلبوه من مختلـف النواحي، قبل أن تتجـه أليـس صوبهـم وقدماهـا لا تـكادان تحملانها بانتظار قرارهم.

وبعد جدال طال وطال كثيراً، أعلن طاقم السـفينة ما يلي: «نحن متأهبون أن نقطع بحاراً شاسعة دون أن نعود أدراجنا يوماً. وسنمنحكما أسبوعاً واحداً لتثبتا جدارتكما واستحقاقكما للتواجد على متن سفينتنا. وإن اكتشفنا أنكما تكذبان سنترككما عند أول صخرةٍ نلقاها لتلقيا مصيركما المشؤوم. هذه كانت قرارات طاقم الومضة، وقراراتهم لا رجعة عنها».

مرت أيام أليس الأولى على السفينة كبضعة كوابيس تعصف في لياليها. لازمها شعورٌ دائم بدوار البحر لكنها بالغت باعتقادها أنها أيامها الأخيرة على السـفينة. وكثيراً ما تقيأت، ما منعها من القيام بأي عملٍ مجدٍ سـوى الاسـتلقاء في حجرتها الصغيرة التي تسـتقر فيهـا مع ماريسـا. كـم جال ببال أليس أنهـا لولا تواجد ماريسـا لكانت تجلس على أول صخرة صادفتها السـفينة. على عكس ماريسـا التي اسـتحقت مكانها على السفينة بجدارة؛ فهي عنت ما قالته حول خبرتها بالإبحار. فها هي حيث تنتمي، وحيث يجب أن تكون، على سفينةٍ في عرض البحر، تتدلى من الصارية كسنجابٍ صغير وتمسك بيدها الأشرعة والحبال المعقودة بعقد ذات أسـماء غريبة لم يسـبق لأليس أن سمعت بها. وفي غمضة

عين، أصبحت ماريسا من أفراد طاقم الومضة الذين لا يهابون أحداً أو شيئاً.

لكنها ظلت تتردد على أليس في قمرتها حاملةً معها بعض المشروبات وكعك البحارة وتبقيها في شيءٍ من الأنس.

قالت ماريسا لتبث الطمأنينة في قلب أليس الحزين: «سيمضي هذا كله قريباً».

لم يتسرب الأمل إلى قلب أليس كما أملت ماريسا التي كانت لحسن الحظ تقول الحقيقة. فبعد نزاع أربعة أيامٍ مع البحر والدوار وغيره، استيقظت أليس وأحست أنها على خير ما يرام.

فلا أثر لدوار البحر في هذا الصباح، وعلى ما يبدو أنها احتاجت لوقتٍ أطول لتتأقلم مع حركة الأمواج وتأرجح السفينة فوق سطح الماء.

في غضون ثلاثة أيام لا أكثر، تعلمت أليس من ماريسا كل ما يتعلق بالعمل على سطح المركب. لكنها تجنبت تسلق الصواري خوفاً من تكرار كارثة دوار البحر.

ثابرت أليس على مسح سطح السفينة حتى زواياه المخفية، وتتبعت كل خدش في الخشب مخافة أن يتسرب منه الماء إلى السفينة. وبحلول نهاية الأسبوع، أصبحت الفتاتان من أفراد الومضة العاملين، ووضعت فكرة إلقائهما على الصخور في طيّ النسيان.

لقب كل من أفراد الطاقم تيمناً باسم أحد أشهر السنة، خلافاً للثعلب لوكس، كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان، أيار، حزيران، تموز، آب، أيلول، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون

الأول، الجميـع! وكان كل منهـم يتسـلم دفة القيادة عندما يحل الشهر الموافق لاسمه.

تعجبت أليس: «إذاً متى يحل دور لوكس للقيادة؟»

أيقظ سؤال ماريسا نيسان وضحكتها تعلو وتعلو لتقول:

«إن لوكس أحد طاقم الومضة المسـتحقين لكننا لا نسـلمه قيادتها أبداً. فهو ثعلب بزي إنسـان، وعلى كل ثعلب أن يبقى حراً طليقاً؟».

صرخ لوكس معترضاً: «لقد سـمعتك يا نيسـان! لا تسـخري مما أفعله وإلا لن أخبركم عندما أشم رائحة العاصفة القادمة!».

تدخـل شـباط قائلاً: «فلتفعل ذلـك علّنا نرى فرو معطفك مبللاً!».

في الأسبوع التالي، بدا أن البحر قد فتح يديه مرحباً بأليس، وبادلته أليس المشـاعر! ولم يفتأ البحر يسـتعرض عجائبه أمام عينيها، التي شاهدت ما لم تشاهده في بحر عالمها قط. فالبحر

هنا أغنى لوناً وأكثر إمتاعاً وغرابة. فمياه البحر العياني مشبعةٌ بالأزرق والأخضر والفيروزي بشكلٍ ساحرٍ للغاية.

ترقرقت الأمواج البحرية بألوانها النقية تحت أشعة الشمس وشكلت في بعض الأحيان أمواجاً عاتية استقرت تارةً أخرى كصفيحةٍ زجاجية كبيرة. لطالما بدت مياه البحر مفعمة بالحيوية وبعذوبة متقلبة جميلة.

غالباً ما بدا البحر كمن ينشد أغنية أو أنه ينفجر ضاحكاً. فاحت منه رائحة الملح والحرية ورائحة أقلام التلوين المدهشة. بلل رذاذ موجاته وجنات كل من على السطح لتجري القطرات المنعشة كقبلات مبهجة لتلعقها أليس بمتعة عن شفتيها. علمت أليس لاحقاً أن اسم ماريسا يعني من تنتمي إلى البحر، إذ رأتها على سطح المركب وخصلات شعرها تتطاير مع نسمات الهواء، وأدركت عندما شاهدت ذلك كم هي اسم على مسمى.

كانت ماريسا تشبه البحر في حركته وحيويته، في قهقهاته المفاجئة وجديته المفرطة في بعض الأحيان. كانت مدهشة ومشوقة بالمقدار نفسه، وماثلت لمعة الموجات تألق عيني ماريسا عندما تضحك.

ذات يوم، أقعد لوكس ذو العينين الماكرتين أليس وماريسا ليخبرهما سبب أسفار الومضة في البحر العياني: «نحن نصطاد القصص الضائعة التي تملأ العالم، حول كل من اختفى يوماً وضاع في غياهب النسيان وينتظر من يجده في القاع تحت الصفحات الزرقاء. تقتضي مهمتنا أن نجدها ونوصلها إلى شاطئ الأمان. شواطئ حديقة الأسرار التي تنتهي بالمكتبة العظيمة تحت الحديقة».

في الأسبوع التالي وصلت السفينة، إلى موضع تضج موجاته بالقصص الضائعة كشبكةٍ منسوجة مما ضاع من قصص. ووصلت إلى السفينة بعض الحكايات المحفوظة في قارورات زجاجية، أما بعضها الآخر فكان محفوراً على الأخشاب الطافية أو منقوشاً في كتب صغيرة تغلق عليها صناديق حديدية صغيرة. قصص أخرى استمعوا إليها عندما وضعوا الأصداف على آذانهم وفي صدى القصة يموج صدى البحر.

بمجرد دنوها بدأ الطاقم يهلل بجذل، فهذه غاية رحلتهم والسبب الذي هون عليهم سفر الأسابيع الطويلة، وقسوة البحار وضنك الحياة المتقشفة. راقبتهم أليس وأفكارها تعود بها إلى عالمها وقصص من ضاع وضاعت معه قصته هناك. أهناك من أنقذهم؟ ربما لم يكن هناك من منقذ، لكن كان لابد من أن ينقذهم أي شخص.

وبعد أن جمعت القصص المتناثرة على سطح المركب، علمت الفتاتان مصدر تسمية البحر العياني باسمه. إذ كانت أليس تحضر بعضاً من الماء من المطبخ عندما جاءها صوت ماريسا من سطح المركب صارخاً:

«تعالي يا أليس! أسرعي لكي تري!»

سارعت أليس تلبي النداء لترى المنظر العجيب! مياه البحر تعج بالمقل؛ مُقل مدورة بحجم كرة الشاطئ كلفيفٍ من عيونٍ لكل منها ما لا يقل عن عشر قزحيات، كلها تثب ثم تعود لتختفي في بطون الموجات كما تفعل الدلافين. كان المشهد مثيراً ومضحكاً للغاية بالنسبة إلى أليس التي انفجرت ضاحكة تلتها ضحكة ماريسا التي قالت: «تخيلي يا أليس نحن في عالمٍ

تعيش فيه مخلوقات تتحول من فراشات إلى ذئاب بلمح البصر وجنيـات الريـح وقصص مفقودة ومقل عملاقة! لن أنسـى هذا المشهد ما حييت».

أوشكت أليس أن تعيش العجب والدهشة مع ماريسا، لولا ذاك الصوت الشكاك داخلها. فهي لم تعد تتذكر كيف بدت غرفتها ولا نسـب أبيها ولا لون أختها المفضل، هل سـيصبح هذا البحر وهـذه الذكريـات في مهب الريح أيضاً عندما تعود إلى عالمها؟ المنـزل.. أليـس نسـيت هذه الكلمة منذ أيـام عدة. لكن أليس إنقاذ عالمهما هو سبب وجودهما الآن على سطح هذه السفينة؟ أليست غاية رحلتهما كلها هي إنقاذ عالمهما لتعودا إليه؟

10. قلبٌ من الصخر

فـي تلك الأمسـية، أقيم احتفالٌ ضخـمٌ على متن الومضة، وارتفعـت أصوات الألحان البحرية القوية، وعلمهم لوكس إحدى الرقصات الماكرة التي تتضمن الكثير من القفز والتمايل والالتفاف. امتد الحفل إلى ليلٍ داكنٍ تضيئه الأقمار الخمسة لأرض الأخوات، ولما أرهقت أليس وماريسا من الرقص سحبتا نفسيهما إلى ركنٍ تشـاهدان منه البحر وتحصيان النجمات التي تلمع فوقهما. في تلك اللحظة من رحلة الومضة بدا الكون كله مجتمعاً على ظهر هذه السفينة، كونٌ مثالي آمنٌ.

ظهـرت فـي الأفق جزيرةٌ من صخـرٍ في قلب الماء! أثارت في نفس ماريسا سؤالاً طرحته:

«آه يا أليس، تخيلي لو أننا لم نستحق مكاننا على السفينة! كنا سنترك على مكانٍ يشبه هذه الجزيرة الموحشة».

أجابت أليس:

«نعم، من حسن الحظ أننا نجونا من مصيرٍ كهذا. بالرغم من أنه لا يبدو لي مصيراً بائسـاً! فهي جزيرة جميلة للغاية! جزيرة جميلة تبدو مثل قلبٍ نابض».

تأملت الفتاتان جمال الصخور المرصوفة بشكل قلبٍ لتصرخا معاً:

«القلب الذي يحمل المفتاح!».

ثم هرعتا إلى طاقم السفينة لإعلامه بإيقاف السفينة حالاً: «أوقفوا السفينة في الحال! علينا أن نصل إلى تلك الجزيرة الآن!».

قفزت أليس وماريسا إلى أحد قوارب النجاة وجذفتا إلى أن وصلتـا مقصدهما الذي بـدا أكثر كقلبٍ مصقول بمجرد دنوهما منـه أكثـر فأكثر. كان سـطحه مصقولاً بعنايـة ولا يزال يحتفظ بحرارة أشـعة الشـمس. وفي مركز القلب ثقب حاولتا أن تنظرا عبره لكنه كان عميقاً جداً لدرجة اختفت كل معالمه وبدا القاع ممتداً إلى ما لا نهاية.

لم تنفع أي محاولة لإضاءة القاع لمعرفة ما إذا كان المفتاح يختبئ فيه ما أوصل أليس إلى استنتاج ما عليهما فعله:

«علينا أن نصل بأنفسنا إلى القاع المجهول».

تخوفت ماريسا قائلةً:

«وماذا لو عاش أسفل الثقب كائنٌ ما؟ كائن متوحش؟».

«سنلتقي به».

قالتهـا وهي تدخل رأسـها فـي الثقب قبل أن تبدأ التفكير بعواقب ذلك.

تلمست يداها في العتمة على طول الجدران الحجرية، لكنها لـم تصـل إلى القاع. مدت يدها حتـى لامس كتفها حدّ الثقب، وجاهدت للوصول إلى القاع حتى بدأت أطراف أصابعها تتحسس شـيئاً معدنياً بارداً، عندها أمالت جذعها قليلاً إلى داخل الحفرة لتمسك بالمفتاح وتسحبه وتعانق ماريسا فخراً وفرحاً. فقد أوشكتا أن تبحـرا قـرب المفتاح وتضيعـاه إلى الأبد! عادت الفتاتان إلى السفينة مع المفتاح ونادتا أفراد الطاقم لتعلن أليس:

«لقد كان شرفاً عظيماً أن نكون من طاقم الومضة».

أكملت ماريسا:

«لكننـا في مهمة مسـتعجلة للغايـة وإيجادنا للمفتاح هذا يحثنا على متابعة ما بدأناه لنصل إلى غايتنا».

«إن لم نتمكن من الوصول إلى الملكة ليلي فسيطمر الثلج عالمنا، وسيحل الشتاء الدائم مدى الحياة».

تعاطف أفراد الطاقم معهما بشدة وبادر تشرين الأول بقوله:

«نعم، نحن نتفهم ذلك، فكان لدينا هنا أيضاً فصول مختلفةٌ كل عام. ولكن لا فصل الآن سـوى الصيف. الفصل الواحد سـيئ جداً سواء أكان صيفاً أم شتاءً».

تساءل لوكس ثعلب السفينة:

«أذكـرت النبـوءة ما يتوجب عليكما فعله بعد السـفر عبر

البحار وإيجاد المفتاح؟»

أجابت أليس:

«نعم. لقد ذكرت النبوءة شيئاً حول فتاتين تمتلكان تنانين لكنــه جــزء غامــضٌ ومبهم كون التنانين قــد انقرضت منذ عهدٍ طويل أليس كذلك؟ فقد أخبرتنا ناســجات الأحلام أنها تطير الآن في الأحلام ليس إلا».

شارك آذار:

«لقد وصل إلى مسمعي بضع شائعات حول جزيرة التنين، لكني لا أعلم مكانها وربما هذه الإشــاعة من نســج أحدهم لا أكثر».

قالت ماريسا:

«نعــم، لقــد جاء فــي النبوءة أننــا علينا أن نحــرر مدينة الملاهي».

أجابها لوكس مفكراً:

«آه، نعــم بالطبــع! ربمــا هنا يأتي دورنا لمســاعدتكما في ســعيكما. إذ توجــد جزيــرة مهجــورة فيها مدينــة ألعاب حاولنا سابقاً دخولها لكن الدخول مقتصر على فتاتين صغيرتين تكونان صديقتين مقربتين».

جاء جواب أليس المتحمس:

«إذاً، لا بد له أن يكون المكان الذي ذكرته النبوءة!»

«إذاً ما علينا إلا أن نأخذكما إليه، سنبحر فجر الغد». قالها تموز مطمئناً.

11. ليليآنا

أبحرت الومضة بأليس وماريسا إلى شاطئ جزيرة الملاهي؛ حيث ودعت الفتاتان طاقم السفينة بعناقات دافئة امتدت طويلاً تبعتها حملة من الشتائم من العيار الثقيل.

«ربمـا سـنلتقي مجدداً فـي يومٍ من الأيـام!» قالها لوكس بأمل.

جاء جواب ماريسا ممازحاً:

«لا تكن واثقاً، ربما تعلمت أرنبتا الماء أن تختفيا بشـكل أفضل في السفن».

وقفـت ماريسـا إلـى جانب أليس تلوحـان براحتي يديهما الصغيرتين لأفراد الطاقم حتى عانقت السفينة الأفق البعيد عائدةً لبحثها المستمر عن القصص الضائعة والحكايات.

أحاط سـورٌ عالٍ بمدينة الألعاب المهجورة، توسـطته بوابةٌ تتأرجح فوقها بضعة أحرف لم تتضح معانيها.

بدأت أليس تهجئتها:

«لي-لي-آنا، ماذا تعني هذه الكلمة؟ أهي مفتاح يقود إلى ملكة الثلج؟».

هزت ماريسا كتفيها بلا مبالاة.

زيّـن أعلـى البوابة تمثالٌ معدنـي لغراب. وفجأة لمع ضوءٌ أبيض من عيني الغراب! وأدار رأسـه لينظر إلى الفتاتين وصوت

الصريــر الصــدئ يطــن في الآذان وكأن التمثــال لم يتزحزح منذ قرونٍ مضت!

جاء صوت الغراب خشناً بائساً سائلاً:

«من ذاك الذي يطرق أبواب ليليانا؟»

بادرت أليس مجيبة:

«أنا أليس وهذه صديقتي ماريسا».

طقطق الغراب بمنقاره، ورفع رأســه بكبرياء، وشــرع ينظر مرة أخرى إلى أليس ومرة أخرى إلى ماريسا قائلاً:

«لستما الفتاتين اللتين أنتظرهما، لكنكما صديقتان مقربتان فسأسمح لكما بالدخول».

وفتحت إثر قوله البوابة ببطء، لكن الصرير الآن أصبح أكثر حدة! لتدخل أليس وماريسا إلى مدينة الملاهي المهجورة إلا من سحرٍ غامضٍ مخيف بعض الشيء.

كل ما فيها كان صدئاً ومغطّى بطبقاتٍ وطبقاتٍ من الغبار وتصــل شــبكات العنكبوت كل ركــنٍ بآخر لكنها لا تخفي الألوان العتيقة للألعاب والمركبات. لقد نما اللبلاب على حلبة الســباق، وتشــعب بين الســيارات، والتف حول عجلاتها، ووقفت العجلة الكبيرة من دون أي حركةٍ إلا من صوت الريح التي تمر بها. ومثلها كانت الأحصنة على لعبة الفرسان الجميلة فوقفت على قائمتيها الخلفيتين محافظة على وضعها الهائج بأكثر الصور سكوناً وكأنها على أهبة الاستعداد لبدء سباقٍ محتدم.

بمجــرد أن خطــت أليس وماريســا خطواتهمــا الأولى إلى الداخل أُضيئت كل الأنوار، تلك التي أعتمت دهراً في كل بناء، وصــدرت مــن مكبرات الصوت موســيقى بدت كأنها ألحان والتز

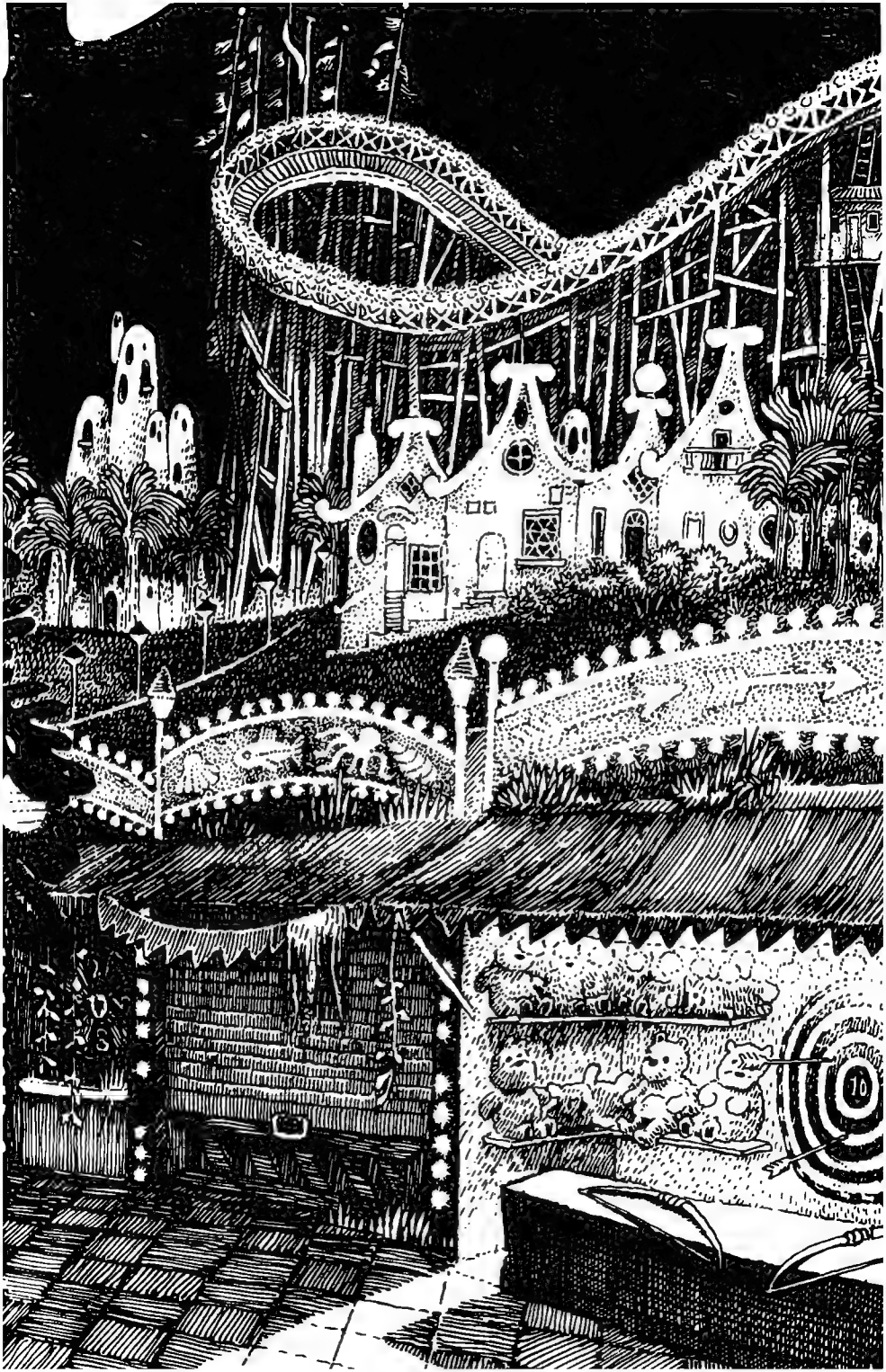

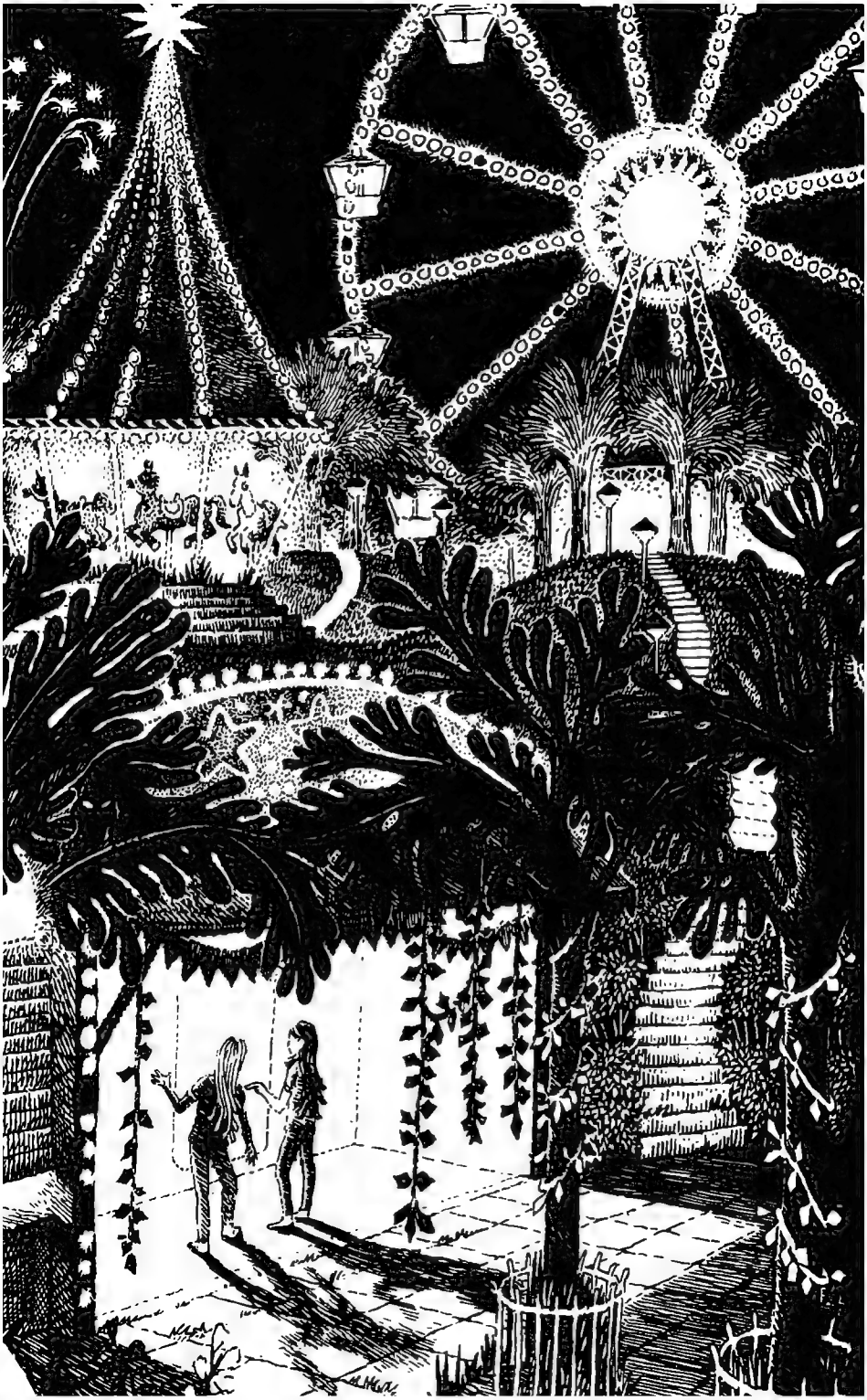

خافتة. خلقت تلك الأضواء وهذه الألحان أثيراً ساحراً فاتناً للغاية.

سألت ماريسا:

«لمن صُنع مكانٌ كهذا وترك؟»

لم تمتلك أليس أي إجابةٍ عن سؤالها.

وبمجرد وصولهما إلى بيت المرايا، أضاءت كلمة «أهلاً بكم» التي تزينه وفُتح الباب من تلقاء نفسه مستقبلاً الفتاتين اللتين التقت أعينهما بلمحةٍ خاطفة قبل أن تجتازا الباب إلى الداخل.

وطأتا العتبة لتجدا أن هذا البيت مكون من غرفةٍ واحدةٍ تخلو من أي شيءٍ عدا مرآة واحدة! وعكست المرآة صورتهما بشكل طبيعي إلى أن همتا بالتحرك ففاجأهما الانعكاس بالتبدل والتحول طولاً وعرضاً لتبدو أليس وماريسا في المرآة فارعتي الطول تارةً ثم شديدتي التقزم، تنتفخان مثل بالونين تارةً ثم ينكمش جسداهما لتبدوا نحيلتين. كان المنظر مضحكاً جداً، ولم تكبت الفتاتان أي ضحكةٍ أو قهقهة، وفي المرآة بدا فم كل منهما كمغارة عملاقة، ثم امتدت يداهما وقدماهما في الانعكاس لأطوال خيالية وبدت أطرافهما كأنها لا تنتهي!

وبعد أن انتهت المرآة من استعراض كل الأشكال التي يمكن لأليس وماريسا أن تتخذاها وبكل الأبعاد والاتجاهات، اختفت بطريقة غريبة وظهر مكانها جدار خشبي. وعندما اقتربت الصديقتان منه وجدتاه ليس جداراً خشبياً وحسب، بل هو لوحة تظهر فيها فتاتان بعمرهما، بيدين متشابكتين وشفتين مبتسمتين.

وفوق صورة إحدى الفتاتين ظهر اسم (ليلي) و(آنا) فوق الأخرى.

وضعت ماريسا أناملها فوق اسم (ليلي) وهي تهمس:

«الملكة ليلي، لا بد أنها الملكة ليلي في صغرها».

قاطعتها أليس: «لكن من تكون آنا؟».

«لا أعلـم مـن تكـون آنا هذه، لكن يبـدو أنها كانت ذات أهمية وشأن بالنسبة إلى ليلي».

في تلك الأثناء، ظهر شـق في منتصف الجدار يشـطره إلى جزءين مبعداً الفتاتين إحداهما عن الأخرى وظهرت غرفةٌ مظلمةٌ من بين طرفي اللوحة المشطورة.

تعجبت أليس:

«ما هذا بحق السماء..؟».

عندهـا أضـيء أحد المصابيح فـي الغرفة وعلا صوت لحنٍ كأنه قادم من علبة موسيقى.

في هذه الغرفة الغريبة تدلى فستانان ظهرا مناسبين لمقاس أليس وماريسا؛ أحدهما أخضر اللون كاخضرار الربيع والآخر رمادي كلون الدخان. اقتربت الفتاتان لتتحسسا القماش الحريري الناعم.

سألت ماريسا:

«هل تُرك الفستانان لي ولك يا أليس؟».

«لا أعلم حقاً، لكني أود لو نجربهما معاً».

ارتدت أليس الفستان الأخضر وماريسا الفستان الرمادي. بدا الفستانان وكأنهما فُصلا على مقاسيّ أليس وماريسا بدقة! قررتا أن تستبدلا ملابسهما التي بدأت تبلى بهذين الفستانين الجميلين.

ثم خرجتا من بيت المرايا لتقع أعينهما على ميدان رماية، وكان عليهما، لتفوزا بالجائزة التي كانت إحدى ألعاب الحيوانات المحشـوة المعلقة على الجدران والسـقف، أن تصيبا بسهميهما منتصف الدائرة.

استذكرت أليس النبوءة سائلةً:

«ألا تتذكرين ما قاله غراب يا ماريسا؟ ألم يقل أنه يتوجب علينا أن نحرر مدينة الألعاب؟».

«نعـم بالفعـل هذا كلامه. يبدو أن الفكرة ذاتها قد خطرت ببالينا معاً!»

وأمسكتا باللحظة ذاتها بقوسيهما وأطلقت كل منهما سهمها نحو هدفه.

لم يحالفهما الحظ في البداية بإصابة أي شـيء عدا الإطار الخارجي، لكن قبضتهما وتوجيههما بدأا يتحسنان سهماً بعد آخر.. إلى أن تمكنت ماريسـا من إصابة هدفها لتفاجأ بدب محشـو يقع أرضاً.

فجأة دبت الحياة في هذا الدب، وبدأ يفرك عينيه، فذهلتا.

نطق كلماته الأولى أمامهما:

«يا للهول، لقد طال نومي كثيراً».

عندها أخذت الفتاتان برمي السـهام من دون توقف حتى أصابتـا الهـدف مـراراً وتكـراراً إلى أن أعادتا الحيـاة إلى جميع الحيوانـات المحشـوة. كانـت الحيوانات جميعهـا في حالة من الذهول، ولكن السعادة والحماسة كانتا تسيطران عليها. واحتشدت جميعهـا حول أليس وماريسـا قبل أن يتقـدم أحد النمور كبيرة الحجم موجهاً كلامه إليهما:

«آنستي العزيزتين، ما هي أوامركما؟».

ردت ماريسا قائلةً:

«نريد منكم أن تكونوا أحراراً طليقين».

أثارت كلمات ماريسا الدهشة في وسط الحيوانات التي بدا

أنها لم تفكر يوماً بشـيءٍ اسـمه حرية؛ لكن الفكرة كانت ذات وقـعٍ جميـل بالطبع فبدأت الحيوانـات تهلل وتقفز فرحة وهي تجول مدينة الألعاب في سعادة وصخب، وهذا ما أشعر ماريسا وأليس بالسرور والرضى.

قالت ماريسا:

«آهٍ، إني أشعر الآن بشيءٍ من الشفقة والحزن على أحصنة السباق المتجمدة!»

اقترحت أليس:

«فلنذهب إذاً لنرى ما بوسعنا فعله بشأنها».

وصلتا إلى عربة الأحصنة الدوارة التي تقف دون حراكٍ.

بـدأت أليـس تحرك ألجمة الأحصنة وأسـرجتها بمسـاعدة ماريسا. وبمجرد أن انتهيا من إزاحة ألجمة جميع الأحصنة بدأت العربة بالدوران على أنغام البيانو.

سـارعت الفتاتـان بالقفز عنهـا، ووقفتا جانباً لتشـاهداها تنطلق وتتسـارع شـيئاً فشيئاً حتى أصبحت تدور بسرعة خيالية، منعت عينيهما الحائرتين من مشـاهدة الأحصنة وحتى السـقف تأثر بالسـرعة الزائدة وطار مبتعداً عن مكان تثبيته محرراً معه الأحصنة التي قفزت وصهلت في المكان سروراً.

سألت أليس:

«هل قمنا بتحرير جميع من في المدينة؟»

هتفت ماريسا:

«عدا غراب!»

عادتا راكضتين إلى بوابة مدينة الملاهي التي يحرسها الغراب وصرختا:

«يا سيد غراب!»

أجاب غراب على ندائهما، محركاً رأسه موجهاً عينيه اللامعتين نحوهما.

قالت ماريسا:

«كيف لنا أن نعيد إليك حريتك يا سيد غراب؟»

أجابها:

«لم أتخلَّ عن حريتي يوماً لتعيداها إليّ!»

استغربت أليس فسألت:

«ألم تحلم يوماً أن تصبح حراً وتتخلص من مهمة حراسة هذه البوابة؟»

جاء جوابه المحزن:

«لا. هذه غايتي ومرادي».

ولعجب أليس سألته:

«إذاً أنت لا تود أن تطير عبر الغابات وتحلق فوق الحدائق؟ وأن تجد رفاقاً وأصدقاء؟».

جاء صوته نبيلاً وهو يقول:

«البتة».

تبادلت أليس وماريسا النظرات لوهلة قبل أن ترفعا كتفيهما

بلا اكتراث. لا يمكننا إجبار أحد أن يكون حراً فربما كان خياره هذا بالبقاء هو تجسيد لحريته بالاختيار. ما كان لماريسا إلا أن تسأله ما عجزتا عن الإجابة عنه فقالت:

«هـل بإمكانك مسـاعدتنا بالإدلاء بـأي معلومة قد تملكها حـول التنانيـن؟ هل يقتصـر وجودها الآن على الأحلام والقصص الخرافية فحسب؟»

رفع الغراب رأسه مستغرقاً في تفكير عميق أعقبه بالآتي:

«لا، التنانيـن لا تـزال تعيـش بيننا. وهي تسـكن الآن في جزيرتها الخاصة التي يسدل حولها غطاء كثيف من الدخان.

ولأسـباب مجهولـة عدلـت التنانين عن الطيـران منذ عدة سـنوات. وأنا شـخصياً لم أسمع بشـخصٍ اتجه إلى تلك الجزيرة برغبته!»

استفهمت أليس:

«إذاً كيف لنا أن نصل إليها؟».

«تتبعان فقط رائحة الدخان وهذا كفيلٌ بإيصالكما إليها».

تمكنـت أليـس وماريسـا مـن الحصول على قـاربٍ صغير ومجذافين من نهر مدينة الألعاب، ودفعتا القارب في مياه البحر، ثم وقفتا أمام المدينة للمرة الأخيرة لتشـاهدا الألعاب المحشـوة والأحصنـة تركـب قطار الملاهي معاً وتأكل غـزل البنات وتنفخ البالونات مبتهجة.

علّقت ماريسا:

«لن يعود هذا المكان مهجوراً بعد اليوم».

شاركتها أليس رأيها:

«حقاً إنه لا يبدو مهجوراً. بل يبدو أنه حديث العهد!».

قالتا ذلك قبل أن تغمضا أعينهما وتأخذا نفساً عميقاً من هواء الجزيرة الذي حمل رائحةً خفيفةً من الدخان أثناء هبوبه من الجنوب الشرقي، وكأن هناك من أشعل النار في مكانٍ بعيدٍ. وبدأتا التجذيف نحو مصدر الرائحة التي بدأت تزداد وتزداد مع تقدمهما؛ ثم بدأتا تلمحان خيوط الضباب الرمادية تتشابك في المكان.

وسرعان ما غطى الضباب الكثيف كل شيء وتسلل إلى فاهيهما الصغيرين، فشعرتا بحريق في رئتيهما لم تتمكن قطع القماش المبتلة أن تمنع وصوله، وبسبب الدخان دمعت أعينهما وأخذت تذرف الدموع. كان الدخان كثيفاً للغاية على شواطئ جزيرة التنانين، ولم تتمكن أليس وماريسا من التقدم حتى لمسافة قصيرة وجذفتا باليدين الحرتين لتعبرا هذه الغشاوة الضبابية. وبعد التفافات قصيرة أصبح الهواء منعشاً للغاية، ولم يعد يحرق العينين والرئتين؛ فتحت الفتاتان أعينهما ورأتا أنهما قد اجتازتا الحاجز الدخاني وها هي جزيرة التنانين الفريدة من نوعها أمامهما.

12. جزيرة التنانين

كانت الجزيرة اسماً على مسمى فهي تعج بالتنانين الكبيرة والصغيرة الجميلة والقبيحة، وكل منها بلونٍ مميز. نظرت الفتاتان إلى التنانين المهيبة ذات الأجسام الفضية النحيلة، وتلك السوداء المخيفة وكأنها من نسل أحد الديناصورات المجنحة. لم يسبق لأليس وماريسا أن شاهدتا هذا العدد من المخلوقات في أي مكانٍ آخر. مخلوقات أسطورية عجيبة فعلاً، لكنها لا تزال تبدو كتنانين الكتب والحكايات.

إضافةً إلى جمهرة التنانين، ملأ الجزيرة نبات الفلفل؛ الفلفل الأحمر والأخضر والأصفر، وإلى جانبها نبت الفلفل الأخضر المرقط والمخطط، فريد الشكل.

ومع كل قرون الفلفل والكائنات الأسطورية على الجزيرة شمخت جبالٌ من الألماس ومن أنواع أخرى من الحلي وتلالٌ من النقود المعدنية. وبدت الجزيرة مجمعاً لكل الكنوز التي سمعتا أن تنيناً حرسها يوماً. بدت كل الألوان لامعة وبراقة وزادتها لمعاناً الأشعة الملونة والثريات البلورية المعلقة على أغصان الأشجار التي أنارت المكان عوضاً عن أشعة الشمس التي حجبها حاجز الدخان الذي أحاط بالجزيرة من كل صوب، وشكل قبعةً أكثر كثافةً عند القمة.

أكثر ما فاجأ الفتاتين هو أن التنانين كانت مصفّدة والسلاسل تحيط بأقدامها؛ سلاسل ذهبية غليظة تنبثق من إحدى الصخور في منتصف الجزيرة؛ ولم يبدُ أن أحداً من التنانين قد اكترث

لقيوده أو لاحظها. فهي تعيش على الجزيرة وكل ما تقوم به هو تناول الفلفل، والنظر بإعجاب وافتنان إلى الكنوز التي تحيط بها ونفث ألسنة اللهب في جدار الدخان، ولم يبدُ أن أحدها لاحظ وجود الفتاتين الصغيرتين على الجزيرة.

ترددت أليس قبل أن تحاول أن تنادي أحدهم:

«مرحبا».

لكن لم يبدُ أن أحداً سمعها؛ فهتفت ماريسا بأعلى صوتها:

«أنتم هناك، مرحبا!».

عندها، وببطء شديد التفتت إليهما أنثى تنين حمراء وبدت عاجزة عن التحرك قائلةً:

«آهٍ، انظروا إلى كرتي اللحم هاهنا! ممّ صنع لحمهما الطري يا تُرى؟».

ثم بدأت تمشي متثاقلةً نحوهما جارةً معها سلاسلها الرنانة. وفاحت من أنفاسها الحارة رائحة الدخان القوية.

اعترضت أليس على قولها:

«لكننا لسنا بطعامٍ لأحد!».

عندها ضحكت أنثى التنين وبدت ضحكتها شبيهة بصهيل الحصان وقالت:

«لا تخافي أبداً. فإن آيلا لا تجدكما جديرتين أن تكونا طعاماً لها ولا أريد أن ألوث أسناني بكما، ولأكون بمنتهى الصراحة فإن أحداً هنا لن يرغب بتناولكما أيضاً. ولمَ علينا أن نتكلف ذلك؟ ولدينا هنا أفضل قرون الفلفل في العالم على جزيرتنا؟ الفلفل اللذيذ الشهي الذي يملأ البطون ويشبع القلب».

نظرت إليها ماريسا وسألت باستغراب:

«أتقضون أيامكم كلها هكذا؟».

وجهت سؤالها إلى التنانين التي تداعب الكنوز أثناء الحديث أو تنام عليها دون أن تتوقف عن مضغ الفلفل بكسل والدخان يخرج من أنوفها.

تساءلت آيلا:

«ما تقصدين بكلامك أيتها اللقمة الصغيرة؟ هذه حياتنا وهذا ما طلبته منا الملكة ليلي أن نفعله وحصلنا على الجزيرة والكنوز لقاء قيامنا بمهامنا هذه».

سألتها أليس:

«وما هي مهمتكم هذه بالضبط؟».

قالت آيلا بفخر:

«علينا أن نخفي القصر الأبيض بالطبع؛ إن قصر الملكة ليلي يقوم أعلى هذه الجزيرة، لكن لا أحد يمكنه أن يراه كوننا نزفر الدخان كل ثانية لنخفيه ونحمي ملكتنا».

تعجبت ماريسا من ذلك فطرحت سؤالها:

«إذاً لماذا تبقيكم في هذه السلاسل؟ أأنتم عبيد عندها؟»

نظرت آيلا في حيرة إلى السلاسل حول كاحلها وكأنها تلحظها

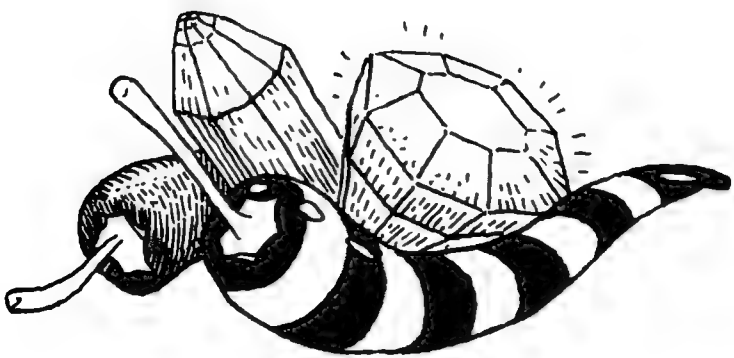

للمرة الأولى في حياتها فتعجبت:

«لكن هذه مجوهراتنا يا لقمة! هذه الأســاور الذهبية هي عربون محبة من الملكة ليلي».

لمحــت أليس الغضب يشــتعل في عيني ماريســا والنقاط الحمراء تندفع إلى وجنتيها قبل أن تصرخ قائلة:

«إنكم ســجناء عندها يا آيــلا! لقد كبّلتكم بالأصفاد اللامعة حتى لا تتمكنوا من الطيران وتبقوا في خدمتها!».

رفعت أليس رأسها في حيرة لدرجة أن الدخان الذي يخرج من أنفها بدا كعلامات استفهام!

«الطيران! ماذا تعني هذه الكلمة؟!».

سألت آيلا وسط ذهول الفتاتين، فأجابت أليس:

«الطيــران هــو ما تقوم به التنانين يا آيلا! إنه قدركم! هذه هي الحرية التي تتمتعون بها. لو كان بإمكانك أن تجمعي جميع التنانين هنا فسنستفيض شرحاً عن روعة الطيران».

لم يكن الحديث حول الطيران بالأمر الســهل، وخاصة عندما يكون الجمهور هو حشد من المخلوقات التي نست بل جهلت تماماً حقيقــة أنهــا خُلقت لتطيــر. وزاد في صعوبة الأمر أن من تخطبان في الحشد هما مجرد فتاتين صغيرتين لا تعرفان شيئاً عن الطيران.

تمكنت آيلا من جمع كل التنانين في حلقة حول الفتاتين.

وقفت أليس وماريســا وســط تحديق عيــون التنانين الذهبية، الخضراء، البنفســجية والســوداء كالحمم البركانية عندما تبرد، وقفتا تحاولان تفســير كيف تطفو الأجنحة فوق التيارات الهوائية ويحمل الهواء أجســامها عبر الســماء وكيف لها أن تحلق في أعالي الســماء وتنظر إلى العالم كله. لكن كل ما فعلته التنانين هو أن وقفت في دهشة واتسعت فتحات أنوفها، وهي تزفر في حالةٍ من عدم التصديق.

نظرت ماريسا في محاولة أخيرة منها للتفسير:

«اجتمعوا حولي الآن، سأرسم لكم ما نعني».

قالتها وهي تلتقط عصا من الأرض لترسم على الأرض شكل تنين يطير؛ وكانت رسوماتها حقيقيةً للغاية حتى أن أليس نفسها ظنت أنه تنين حقيقي صغير يطير على وجه الرمل، بعثت في الجو إحساساً بالحرية المطلقة، رأت أليس فيها البحر، تبرق قمم موجاته، وخضار الغابات التي تطل عليه، وكأنها تطير فوق هذا البحر وتسرع عبر تلك الغابات مجتازةً الضباب والغيوم المتناثرة.

يبدو أن جميع التنانين تذوقت حرية الطيران في ما خطته ماريسا، حملها هذا الإحساس على الارتباك فبدأت تتخبط في أماكنها وهي تتبادل النظرات فيما بينها.

تلعثمت آيلا قليلاً قبل أن تتمكن من الكلام: «أنا... في الحقيقة، نعم! بإمكاني أن أتذكر ذلك! لكني اعتقدت أنه حلم لا غير أو حتى سراب! لكنها الحقيقة المطلقة! فأنا كنت أطير وأطير وكان ذلك أفضل ما أحسست به يوماً».

فردت عندها جناحيها العظيمين، ثم أخذت تعدو لخطواتٍ عديدة قبل أن ترتفع في الهواء قليلاً، لكنها ارتطمت مجددا بالأرض، إذا أعادتها الأصفاد الذهبية محكمة الإغلاق. بدت آيلا مشدوهةً للغاية. ثارت آيلا على السلسلة الذهبية، وبدأت تحف الأصفاد على كاحلها وهي تصرخ:

«علينا أن نطير! نحن تنانين ومن طبيعتنا أن نطير كيفما أردنا».

أجابتها التنانين الأخرى:

«لكن الملكة أعطتنا هذه الأساور لنبدو أكثر جمالاً وأناقة».

بدأت دهشة التنانين برسوم ماريسا تخفت، لكن آيلا لم تفقد إحساسها ومشت رافعةً رأسها ما أمكن وبكل فخر ويا له

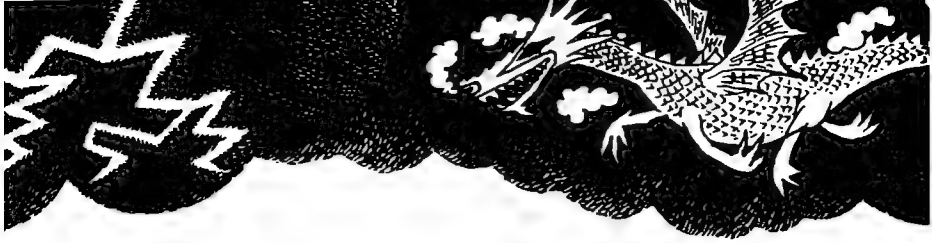

من مشهدٍ مؤثرٍ بالفعل!

أعلنت على الملأ:

«حان الوقت لنتخلص من قيودنا هذه».

تقدم أحد التنانين الزرقاء الصغيرة سائلاً:

«لكن كيف سنفعل ذلك؟».

كانت ماريسا بدأت بتفقد الأصفاد على كاحل آيلا، وخطر ببالها أن تجرب المفتاح الذي وجدتاه في جزيرة القلب، لكنه لم يجدِ نفعاً، ثم تذكرت مفتاحها الذي استخدمته لفتح بوابة حديقة الأسرار، وما كان للقيد إلا أن فك!

نادت ماريسا:

«انظري يا أليس!».

حينها كانت أليس قد بدأت فعلاً تفتح أقفال التنانين الأخرى بمفتاحها الذي دخلت فيه حديقة الأسرار. وملأت الدنيا أصوات السلاسل الذهبية التي ترن عند فتحها وترن ثانيةً عند ارتطامها بالأرض لتركلها التنانين بعيداً عنها وتسترجع ذكرياتها عن كيفية التحليق وأيام الطيران.

لا يغرنكم حجم هذه المخلوقات المهيبة وعظمتها، فهي بدت عندها بائسة ومثيرة للشفقة وكأنها صغار دجاج تتعلم درسها الأول في تحريك أجنحتها محاولة أن تطير لتعود وتقع وتحاول مجدداً.

فعلت آيلا ما بوسعها لتذكر الجميع بكيفية الطيران، لكنها نفسها لم تستطع تذكر كل تفاصيل الطيران.

في غضون ثلاثة أيام تحسنت مهارات التنانين بالطيران كثيراً وبدأت تفكر في طريقةٍ ما لشكر الفتاتين.

وجهت أليس سؤالها التالي إلى آيلا:

«ذكرت النبوءة عن شيءٍ يخص أن نضع أيدينا على التنانين أو تكون تحت تصرفنا؛ هل تعلمين ما الذي يعنيه هذا؟».

فكرت آيلا بعمق، وأخذت تتذكر وتزفر ويخرج الدخان من أذنيها لتقول بعدها:

«هناك طريقةٌ لفعل ذلك؛ لكني غير واثقةٍ أن باستطاعتي تنفيذها».

اقترحت ماريسا بثقة:

«دعينا نجربها إذاً!»

جمعت التنانين كومةً من أشد قرون الفلفل الحارة الموجودة على الجزيرة وأخذت تغليها في محلول قوي. ثم أخذت منها مقدار جرعتين، واحدة لكل من الفتاتين، وطلبت منهما أن تشرباه دفعةً واحدة.

نظرت أليس إلى ماريسا التي بادلتها النظرات وهي تحرك رأسها موافقةً. ثم معاً، تجرعت كل منهما جرعتين لتشرباه بسرعة كي لا تشعرا بحرقته النارية. بالفعل كان حاراً جداً جداً، لكنهما لم تشعرا باللذعة مباشرةً إنما بعد لحظات قليلة من ابتلاعه.

شعرت أليس بالنار تستعر داخلها وتفجر أحشاءها وكل ما جرى فيه المحلول. وبدأت تتصبب عرقاً وتختلج وتحول وجهها إلى اللون الأحمر. انتظرت أليس أن تنطلق النار من فمها كما تفعل التنانين وخاصة أنها رأت الآن ماريسا في الحال السيئ نفسه.

مدت ماريسا يدها اليمنى تمسك بها يد أليس اليسرى، وتنظر إليها أملاً أن تجد الدعم أو المساعدة؛ لكنها لن تجد شيئاً

بإمكانه أن يخفف اللوعة المبرحة.

شـعرت أليس بالدوار، وظنت أن أجنحةً مليئةً بالحراشـف سـتنبثق مـن ظهرها؛ لكن أيـاً من ذلك لم يحدث. بل ما حدث هو أن يديهما المشبوكتين بدأتا تتحولان!

تورمتـا أولاً، وتضخمـت أصابعهما وطالـت الأظفار. وبدأت الحراشف المدببة تتشكل تحت جلدهما.

تسـمرت الفتاتان فزعتين تنظران إلى يديهما، يد ماريسـا اليمنى ويد أليس اليسرى، وهما تتحولان حتى المرفقين إلى يديّ تنين عليها مخالبٌ حادة جداً. وعندما انتهى هذا التحول، توقف شعورهما بالحرقة، إذ انتهى عمل المشروب القوي في جسديهما.

بدأت ماريسا تختبر يدها وأصابعها الجديدة وهي تقول:

«الآن أصبحنا مستعدتين لملاقاة الملكة».

لكن أليس ذكرتها:

«لا يزال علينا أن نجد المفتاح الثالث يا ماريسا».

تقدم أصغر التنانين، ذي اللون الأزرق، وقال بخجل:

«لقـد جالـت الأفـكار في بالي كثيراً، ونظـراً لحقيقة أنكما وحدكمـا من تسـتطيعان مواجهـة الملكة، والمفتاحـان اللذان تحملانهما قد فتحا أمامكما بوابة حديقة الأسـرار وأصفاد جميع التنانين هنا، فماذا لو أذبناهما معاً لنصوغ واحداً مشتركاً لكما؟»

هلّـل الجميـع ترحيباً بهذه الفكرة حتى أن ماريسـا وأليس أطلقتا بضعة هتافات.

نفثـت جميـع التنانين نيرانها علـى المفتاحين في المكان المراد إذابته ثم جاء بعدها التنين الأزرق الصغير ليحمل شرف تشكيل المفتاح الجديد ليخرج من تحت يديه مفتاحٌ كبيرٌ وجميل مزين بالحرفين الأولين من اسمي أليس وماريسا.

ودعــت التنانين الفتاتين بحرارة والدموع تنهمر من عيونها وهي تردد وعوداً بالتحليق عالياً وأنها لن تنســى الفتاتين مهما طــال الزمــن. وخططت آيلا أن توصــل الفتاتين على ظهرها إلى بداية درج القصر.

قالت للفتاتين وهما تهمان بالرحيل:

«أنتما شجاعتان للغاية أيتها الصديقتان».

فسرت أليس:

«علينا أن ننقذ عالمنا كي لا يغمره الثلج يا آيلا؛ الشــجاعة هي خيارنا الوحيد».

هزت آيلا رأسها نفياً وتابعت:

«أنتما تنقذانه من شيءٍ أكبر هولاً من عاصفةٍ ثلجية أبدية».

تسلقت الفتاتان ظهر آيلا وماريسا تسألها:

«ماذا تعنين بقولك هذا؟».

«أنتمــا تنقــذان عالمكمــا والناس الذين يعيشــون فيه من الصقيــع، ولا أقصــد بذلك الصقيع الذي تســببه درجات الحرارة المنخفضة فحسب، بل ذلك الذي ينهش دواخلهم أيضاً».

سألت أليس:

«لماذا تدمر الملكة ليلي عالمنا يا ترى؟».

تحسرت آيلا وهي تجيب:

«لا أعلم، لكن ما أعرفه حقاً هو أن الملكة شخص لا يُستهان به، وهي أكثر مكراً ودهاءً مما قد تتوقعان».

عندها حلّقت آيلا بهما، وبقيت كلماتها وتحذيراتها تجول في رأس أليس لكنّ الطيران على ظهر تنين فوق النسمات والغيمات يُذهــب بــكل الأفكار والهموم. هذا هو الإحســاس بالحرية! وهو إحساس لن تنساه أليس مطلقاً.

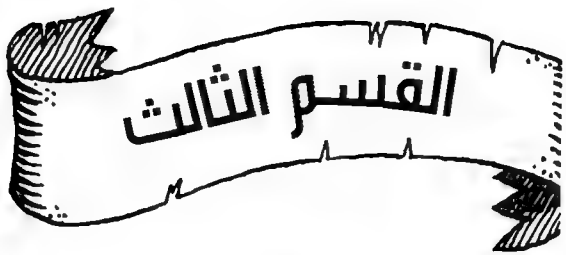

المعركة

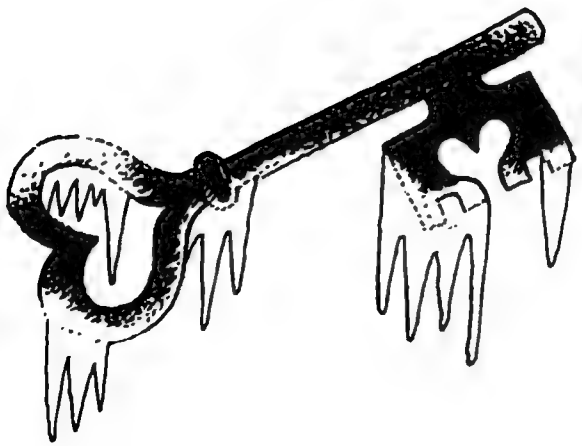

13. درجات القصر الأبيض

وعبر القناع، تنفســت الفتاتان أنفاساً قصيرة، وأبقتا أعينهما مغمضــة عبــر الحاجز الدخانــي الكثيف. وأليس تتســاءل كيف لصديقتها أن تطير من دون أن تتمكن من رؤية ما أمامها! ربما ساعدتها غرائز أخرى في ذلك. عندها باحت لهما آيلا بإحساسها أنها عادت للطيران بعد سباتٍ عميقٍ. وفجأة وجدت نفسها تقوم بأشياء وتمتلك مواهب لم تدرك أنها امتلكتها من قبل.

أخيراً، تبدّد الدخان لتستقبل وجنتا الفتاتين النسمات الباردة المنعشة معلنةً وصولهما إلى أولى درجات القصر الأبيض.

بــدا الــدرج يلمع بأكمله وكأنه مصنوعٌ من الزجاج! وعندما لامســت أنامل أليس الدرجات علمت أنها من الجليد المصقول؛ درجات جليدية بدأت في أعلى الســماء وتســلقت الهواء أعلى وأعلــى إلــى حيث بدا في المــدى القصر الأبيض بعظمته، عرش الملكة ليلي ومستقرها.

ودعتهما آيلا، وبصوتها المبحوح قالت:

«أتمنــى لكمــا حظاً ســعيداً وأن تلازمكمــا الحكمة والحلم يا فتاتي يديّ التنين».

بدت كأنّها تغص وهي تكبت دموعها حين أكملت:

«إنّه لشرفٌ عظيم لي أن التقيت بكما وأن...».

لم تكمل آيلا كلامها حتى هاجمتهن مجموعة من الكائنات

الصغيــرة الجليدية تتزاحم على الدرجات لتبدأ مباشــرةً هجومها بأســنانها المدببة ومخالبها. كانت قضماتها كنخزات ثلجية حادّة على جلدهما.

حاولــت ماريســا أن تبعد الكائنــات وهي تصرخ: «ما هذه الكائنات!؟»

أجابتها آيلا:

«إنهــا أقــزام الثلــج، يا لها من أقزامٍ ماكــرة كريهة؛ لا تقلقا يمكننا التغلب عليها».

أخذت بعدها نفساً عميقاً، ونفخت رماداً بكثافة غيمة على الأقزام ممّا أخلّ بتوازنها فتعثرت على عتبات الدرج عاجزة؛ وآيلا تصرخ:

«هيّا فلنسرع قبل أن تتعافى من سقطتها».

وأخذت الفتاتان وآيلا يصعدن الدرج فسألت أليس آيلا:

«ألا يتوجب أن تعودي إلى جزيرة التنانين الآن؟».

«لا بل من الضروري أن أرافقكما إلى الباب فنحن لا نعلم ما الذي ينتظركما على هذه العتبات».

ولم يصلن إلى منتصف الدرج حتى قطع طريقهن مرة أخرى عدو آخر مكون من خيوط الشاش الذي لا يملك إلا فمه الكبير الذي يبتلع الهواء.

حذّرتهما آيلا قائلة:

«إنها مبتلعات الحرارة، أبعداها عنكما حالاً بيدي التنين! لا تدعاها تمتصّ حرارتكما وإلّا ستصبحان قالبين جليديين!».

بتوافد مبتلعات الحرارة أفواجاً إثر أفواج، شعرت أليس بما يمتصّ شيئاً منها، وبدأت تبعدها عنها بيد التنين خاصتها، ممزقة

المبتلعات الجشـعة، وكان بإمكانها أن ترى ماريسـا تفعل الأمر عينه، من خلال نظرات خاطفة إليها بطرف عينها. كانت الفتاتان تحاربان ببسالة هذه الكائنات التي أتت من كل حدب وصوب؛ وساعدتهما آيلا ما أمكن، فبضربة من مخالب التنين كانت هذه الكائنات تتمزق وتختفي.

لكـنّ أحـد المخلوقات تمكن من التسـلل خلف أليس ولم تشعر إلا بنفحةٍ ثلجية تسري في عنقها وبالجليد يتغلغل أعمق وأعمق فيها حتى وقفت في مكانها قطعة جليدية تخلو من نفسٍ دافئ. ثمّ فجأة اختفى هذا الشعور، واختفى الجليد الذي جرى في عروقها؛ بعد أن مزقت ماريسا مبتلع الحرارة النهم بمخلبها.

وبعد مضيّ ما بدا أنّه دهرٌ طويل، هُزمت مبتلعات الحرارة كلهـا. بعـد جهدٍ كبير مـن الفتاتين وآيلا، اللواتي أكملن الطريق صعوداً على السلّم الجليدي.

وعلـى مقربـة، بـدت بوابة القصـر؛ هنا تحديـداً خرجت المخلوقـات الجليدية الكبيـرة التي هي بحجم الأبراج الجليدية، وبدأت تنفث ثلجاً كثيفاً.

صاحت آيلا:

«نافثات الجليد».

أطلقت هذه الكائنات الثلج من كل حدب صوبٍ ولم تصدق أليـس مقـدار القوة الكامنة في هذا الثلج الذي تنفثه. وبانقضاء ثـوانٍ لا أكثـر أحاط الثلـج بالفتاتين وآيلا من كل ناحية وصوب ولم تتمكن أي منهن من الحراك مطلقاً.

صاحت ماريسا

«سنُغمر بالثلج!»

عارضت آيلا الفكرة قائلةً:

«لن تغمر صديقتاي ما دمت موجودة إلى جانبهما» قالتها وهي تعترض طريق الثلج، وتخطط لفعل ما لم تفعله منذ قرون مضت. فأخذت نفساً عميقاً ارتعش من إثره جسدها بدءاً من فتحات أنفها وحتى آخر عظام ذيلها ثمّ فغرت فمها لتنفث ناراً عظيمة على نافثات الثلج لتذوب إلى تيارٍ من المياه العذبة تجري أمام ماريسا وأليس.

بدأت اثنتان من النافثات توجهان أنفاسهما الجليدية إلى رأس آيلا وبشكل أكثف. عندها ربضت الفتاتان ما أمكنها خلف آيلا على نحو منخفض. وجلّ ما وصلهما من معركة الثلج والنار هو أجيج ألسنة النار. سمعتا سعال آيلا، والهواء يصفر عند كل شهيقٍ قبل أن تنفث آيلا المزيد من اللهب. كان المشهد مربكاً فلم يبدُ من ساحة المعركة إلا ألسنة اللهب والبلورات الجليدية، والماء والدخان. بعدها بدت درجات السلّم حيث تقف الفتاتان ساكنة تخلو من أي همس.

فتحت أليس وماريسا عيونهما لتتبادلا النظرات بذعرٍ، ثمّ رفعتا ناظريهما إلى منظر المياه التي تجري بعد ذوبان جميع نافثات اللهب. أما آيلا، فكانت تقف دون أي حراك. كانت عينا آيلا مغمضتين ورأسها يستند على الدرجات وأطرافها جامدة لا تبدو فيها أي حياة.

نادت الفتاتان:

«انظري إلينا يا آيلا!».

لم تنبس آيلا ببنت شفة ولم تأتِ بحركة. فجلست أليس وماريسا قرب رأس آيلا تربتان عليه لتسري عندها رجفة في

باقي جسـدها، وتتمكن من أخذ شـهيق كمن يأخذ نفسـاً للمرة الأولى.

قالت لاهثةً:

«أكملا مسيركما الآن».

لفظتها دون أن تتمكن حتى من فتح عينيها.

قالت ماريسا:

«لا، لا يمكننا تركك أبداً!»

جاءت أنفاس آيلا ثقيلة وهمست بجهدٍ كبير:

«أنا.. لقد رحلت عن هذا العالم.. منذ وقت..».

انطلق من منخاري أنفيها آخر حلقةٍ دخانيةٍ قبل أن تتوقف عن الحراك وعن التنفس.

نعم، لقد تغلبت آيلا على نافثات الثلج، لكن المعركة أنهكت آيلا العجوز واستنزفت أنفاسها.

طبعـت أليـس وماريسـا كل بدورها قبلة علـى جبهة آيلا والدموع تنهمر بغزارةٍ على وجهيهما.

صعدتا الدرجات الأخيرة وأيديهما متشابكة حتى وصلتا إلى بوابـة القصـر الأبيـض، مقصدهما وغايـة رحلتهما، وها هي آيلا رافقتهمـا لتشـهد هذه اللحظـة بالذات. كان القصر الأبيض باهر الجمال تطلّ منه الأبراج والشرفات والأقواس.

لكـن جمـال معالمه لم يعنِ الكثير لأليس وماريسـا اللتين عبرتـا البوابـة العظيمـة. مـن دون أي عائـق أو مانـع لتخطوا داخـل القصـر الذي بدا فارغـاً عندما اجتازتا ردهة الانتظار التي تدلّـت من سـقفها الثريات الثلجية وافتـرش أرضها دثار بنعومة السّحاب.

اتّجهتا إلى أحد الأبواب الكبيرة التي تطلّ على الردهة ظنّاً منهما أنه سيؤدي بهما إلى صالة القصر الرئيسية؛ وفوق الباب دوّنت عبارة «اخطُ إلى قلبي».

ناجت أليس نفسها:

«قلبٌ آخر».

الفكرة ذاتها خطرت ببال ماريسا وهي تخرج المفتاح الذي انتشلتاه من حفرة جزيرة القلب ليفتح الباب بسهولةٍ عند أول استدارة للمفتاح لتدخلا إلى ردهةٍ متّسعةٍ مضاءةٍ بضوء ساطع.

أفزعت أليس الفتاتين اللتين تقفان بمواجهتهما في الغرفة؛ لكنهما أدركت أن ذلك مجرد انعكاسهما في المرآة الكبيرة الموضوعة في منتصف الغرفة؛ ويتوسطها خرم مفتاح.

همست ماريسا:

«أين هي يا ترى؟».

أوصلت همسات ماريسا خوفها إلى أذن أليس بشفافية، فهي خائفةٌ مثلها مما يجري.

وعندها سُمع وقع خطا واشرأب أحد من خلف المرآة ورنّت كلمة «أهلاً بكما» في الأرجاء.

كانت كلمات الملكة ليلي المرحبة بهما.

تابعنا على تيليجرام اضغط هنا

تابعنا على فيسبوك اضغط هنا

14. مرآة الظلال

كانت الملكة ليلي أجمل المخلوقات التي التقتها أليس هنا وأكثرهـا بغضاً. فخصلات شـعرها الطويلة كانت تشـبه الخيوط البيضـاء أو خيـوط العنكبوت، وكانت لماعة تنسـاب كأن الحياة تدبُّ فيها. أما فستانها الطويل فكان أيضاً يومض بلونٍ أبيضٍ زاهٍ، تهيأ للفتاتين أنه محاك من القماش المخرم والشفاف والمخملي، ومزيناً بالبلورات الثلجية والجواهر البيضاء.

أما وجهها فكان صافياً أملس خالياً من التجاعيد، لكن صفاءه غير ذي أهمية فهو بالنهاية وجه امرأة عجوز. ذات عينين قاسيتين كالجليد، وبدت نظراتها ثاقبة يمكنها أن تخترق وتقتل أي كائنٍ بلمحـةٍ واحـدة. وعلى الرغم من ذلك كلـه فهيئة الملكة كانت بهية فاتنة لدرجة اضطرت أليس إلى تذكير نفسـها أن مهمتهما هي التغلب عليها! ولو لم تتذكر ذلك لكانت ستهرع إلى الملكة تطلـب منهـا أن تحتضنهـا وتربت على رأسـها وتخبرها كم هي جميلة. وشـعرت أليس أن ماريسـا تشـاركها هذا الشـعور تجاه الملكة! ضغطت أليس على يد ماريسا بقوة وهما لا تزالان في مكانهما نفسه.

ابتسمت الملكة ليلي وهي تقول:

«أليس وماريسا».

كان صوتها فاتراً غير مبالٍ ما جعل القشعريرة تسري في جسديهما، قبل أن تكمل:

«وأخيراً وصلتما. إني أنتظركما منذ زمن».

فتحت يديها وكأنها توقعت منهما أن تركضا إلى أحضانها.

«نعم إني أنتظركما منذ سنواتٍ طويلةٍ، بل ربما مضت قرون وأنا أتوق للقائكما. وها أنتما أتيتما لتعيشا معي هنا».

تبادلت أليس وماريسا النظرات وهما تجهلان ما يجري.

قالت أليس:

«لكننا لم نأتِ إلى هنا كي نعيش معكِ».

وللحظة بدت الملكة مشدوهة بقول الصغيرة فقالت:

«لا أعلم ماذا تقصدين بكلامك! أنتما لم تأتيا هنا لتسكنا معي؟ علماً أني جعلت أرض الأخوات أعظم مكانٍ في العالم وأكثرها سحراً وجمالاً؟».

صوت الملكة كان يعبّر عن صدقها.

جاء صوت ماريسا واثقاً وهي تقول:

«أتيت وصديقتي إلى هنا لننهي حقبة استبدادك ونزيل ظلمك عن عالمنا!».

سرت ثقة ماريسا بنفسها في نفس أليس التي لم تغب رغبتها بمعانقة الملكة وإخبارها أنهما هنا لتعيشا معها!

شيءٌ في صوت الملكة ليلي ضلّل أليس.

سألت الملكة:

«أيحتاج عالمكما لإنقاذ؟».

صاحت ماريسا:

«عالمنا يحتاج إلى إنقاذٍ بالفعل!».

وصلت الآن مشاعر الغضب إلى أليس فهتفت:

«يتراكم الثلج فوق الناس في عالمنا وسيلقون حتفهم جراء البرد القارس!».

بـدت الملكـة غارقةً في تفكيرٍ عميقٍ قبل أن تلوح بيدها، وتطلق ضحكاتٍ لم يسبق لأليس أن سمعت بقوتها ورهبتها قط، لكنها كانت فاتنة وأخّاذة.

«يا لعجبي! لكنني أعتقد أنهم سيعتادون الشتاء الأبدي. وهو ثمـنٌ صغيـر مقابل بقـاء الصيف الدائم في أرض الأخوات حيث يبقى كلّ ما فيها أخضر يانعاً ومتوردا.

لقد بذلت جهوداً جبارة، واستغرقني الأمر وقتاً طويلاً لجعل هذه المملكة تبدو كالخيال. ولن أدع ما يبدو أنه بعض المشاكل التافهـة المتعلقـة بثلج يغمر عالماً آخر يأخذ أي حيزٍ صغيرٍ من تفكيري».

سألتها ماريسا:

«إذاً جـلّ مـا أردته هو الصيف الدائم هنا، فلماذا شـيدتِ قصرك هذا من الجليد؟».

تمهلـت الملكـة قبل أن تجيب عن سـؤال الفتاة الصغيرة. وفجأة غلب على ملامحها الحزن والألم. أجابت:

«هذا الثمن الذي ندفعه هنا لقاء بقاء صيف أرض الأخوات إلـى الأبـد؛ فعلـى أحدهـم أن يتلقى الصقيع الذي يتسـلل من عالمكم. واخترت أن أكون من يفعل ذلك».

تبادلت الفتاتان النظرات عجباً. فها هي الملكة المهيبة تبدو الآن ضعيفة ووحيدة.

قالت أليس بغضبٍ:

«لكن عالمنا لم يحظ بفرصة للاختيار مثلك! ولم يختر أحدنا حياة العواصف الثلجية والجليد! وما فعلته أنت ليس تضحيةً بل سـرقة الدفء من قلـوب الناس في عالمنا! بل حتى إنك سرقتِ ظلالنا أيضاً!»

تقدّمـت الملكة مـن الفتاتين ومع كلّ خطوة خطتها شعرت أليس وماريسا بالقبضة الجليدية تشتدّ حول عنقهما. اتّجهت الملكة إلى المرآة الكبيرة.

«أقـدّم لكمـا مـرآة الظـلال، أعظـم اختراعاتـي، مـرآة سـحرية تعمـل كبوابة يمـرّ عبرها الدفء مـن عالمكم إلى أرض الأخوات. لقد اسـتغرق الأمـر طويلاً قبل أن أبتكـر طريقةً لحجز الحـرارة كلها، ثم خطر ببالي أن أستخدم ظلال الناس. تسحب المرآة الظـلال من المنطقة الفاصلة بين العالمين، حاملـةً معها الدفء. مـن يحتاج ظلّه على أية حال؟! وجود الظلّ ليس بذي شـأن في حياتكم».

ثقـة الملكـة فرضـت حضورهـا في الغرفة حتى أن أليس وماريسا شعرتا أنها تملأ الغرفة بأكملها.

تساءلت أليس:

«ولـمَ تريديـن صيفاً

أبدياً هنا؟ لِمَ لَم تكتفِ بأرض الأخوات كما هي؟».

جاء صوت الملكة خافتاً وهي تجيب:

«لم أشعر أنها بذلك الإبهار والسحر، لكنها كانت تعجبني على حالها القديم؛ أما آنا فلم تكن مسرورةً بحالها ذاك. عندما غادرت، أصبحت مهمتي أن أجعل أرض الأخوات أعظم أرضٍ قد يحلم أمرؤ بالعيش فيها.. وألا يغادرها أبداً».

بدأت بعض الصور تظهر في المرآة، صور لحديقة الأسرار ذلك المكان الساحر الخيالي بكل ما فيه.

أرض الأخوات هي حلم أمكن لأحدهم تنفيذه، وفيها كل ما يمكن تمنيه.

الملكة كانت على صواب. فأليس وماريسا قد عاشتا بالفعل أفضل أيامِ حياتهما هناك.

قالت أليس:

«إنّما علينا العودة إلى عالمنا، إلى منزلنا. ويحتاج الناس هناك إلى دفئهم وحتى إنهم يحتاجون إلى ظلالهم. ولو أنك لا ترين عبرة من الظلال لكنها تكمل كلا منّا. لا يمكن أن يحلّ شتاءٌ دون أن يليه صيف؛ ولا يمكن أن يكون هناك ضوءٌ دون أن يلقي ظلّاً».

وصلت الملكة إلى أمام الفتاتين تواجههما. وصلت أنفاسها إلى جبهتي أليس وماريسا كقبلٍ صقيعية.

«ولماذا عليكما العودة إلى هناك؟ وبإمكانكما البقاء هنا وأن يصبح هذا كلّه موطنكما ومسكنكما. أنتما لا تتذكران عالمكما بتفاصيله! وتكادان تنسيان عائلتيكما».

كلمات الملكة دارت في مخيلتي الفتاتين كأملٍ تمنتا

تحقيقـه. فمـن المبهـج أن تكـون أيامهمـا التاليـة فـي أرض الأخوات.

«المرآة هي بوابةٌ. إن مررتما عبرها ستبقيان هنا ما حييتما. وظلاكما هما فقط ما سـيعود إلى عالمكما البارد؛ لكن ذكراكما سـتُمحى من كل من يعرفكما ولن يفتقد وجودكما أي شـخص. وكأنكمـا لـم تخلقـا في ذاك العالم قـط. ويمكنكما أن تأملا أن يحظـى ظلكمـا ببعض المرح في الأيام المشمسـة فيتمكن من العدو أو الطيران على تلال الجليد».

ختمت الملكة كلامها بوضع يديها على رأسي الفتاتين وكأنها تباركهمـا. والأمـل يكبر في نفس أليس أن تحضنهما الملكة بين ذراعيها. لكن هذا لم يحدث؛ وابتعدت الملكة عنهما قائلةً:

«اختارا بكلّ حذرٍ أيتها الصغيرتان. إن عبرتما الباب، يمكنكما أن تحظيا بكل متاع أرض الأخوات وعجائبها. بإمكانكما أن تصبحا ابنتيّ هنا».

عكست كلمات الملكة رغبتها الرقيقة بتواجدهما.

تنهدت قبل أن تكمل:

«إنّني وحيدةٌ هنا منذ زمنٍ طويلٍ...»

أراد جـزء مـن أليس، ذلك الـذي يرغب بحضن الملكة، أن يصدقها. لكنها لم تطاوعه بل قالت بحزم:

«أنتِ لستِ أمّاً لنا؛ أنتِ من قتل آيلا».

«آيلا كانت مسـنّة للغاية، أكبر سـنّاً من هذا العالم ومن مخلوقاته. كان هذا أوان رحيلها عنه».

استهجنت ماريسا:

«هذا كذب! لقد أسـرتِ جميع التنانين! وهاجمنا حراسـك

بالأنفاس الجليدية بهدف سـلبنا الدفء! جلّ ما نريده الآن هو العودة إلى موطننا!».

عاد البرود إلى تفاصيل وجه الملكة ليلي وهي تقول:

«إذاً أنتمـا مثـل آنا. هي الأخرى هجرتني هنا. ربما ضجرت مني ومن أرض الأخوات وبدأت تكرهني».

علّقت أليس:

«إن كنـتِ تفرضيـن صداقتك على آنا كما فعلتِ الآن معنا؛ فلا عجبَ أنها غادرت».

انكمشت كتفا الملكة وتضاءل حجمهما من هول الصاعقة!

أمسـكت أليس وماريسـا بمفتاحهما المشترك، ورفعتاه إلى مرآة الظلال وبطرف عينيهما لمحتا ابتسامة مستنكرة خاطفة بين شفتي الملكة، ظنّاً منها أنهما تفتحان البوابة.

صاحـت أليـس وماريسـا معاً «فليزل الظلـم» وهما تدكّان المفتاح في منتصف المرآة التي عكست أجزاؤها المتكسرة قنوط الملكة ليلي وهي تبكي حال مرآتها!

نشـأت ريحٌ خفيفة من دمع الملكة اليائسـة، وبدأت تشتدّ شيئاً فشيئاً.

شـبكت الفتاتـان أيديهما معـاً في مواجهـة الدوامة التي تحاصرهما وهي تزداد شـدة حتى جرّتهما داخلها ورفعتهما في الهواء عالياً مجتازةً سقف القصر الأبيض المحطم ثمّ أعلى فأعلى وأعلى..

بين العالمين

دار في الدوامة مع أليس وماريسا قطع زجاج المرآة وهي تثور في أعالي السماء. أحكمت كل منهما قبضتيها على يدي الأخرى وكلّ ما حولهما يثور ويدور، أما أجزاء المرآة فقد تجمع أحياناً لتعكس صورة أليس أو ماريسا أو كليهما معاً.

حاولتا أن تتعانقا لكن التيارات الهوائية كانت أقوى منهما معاً. أقوى بكثير حتى أنها باعدت أيديهما قليلاً؛ أدركتا أنها مسألة وقت قبل أن تفرقهما الريح.

صرخت أليس باكيةً:

«سأجدك يا ماريسا».

أجابتها ماريسا:

«أنا من سأجدك أولاً يا صديقتي».

وازدادت المسافة بين الأيدي المتشابكة حتى افترقتا وضاع مساراهما داخل الزوبعة المخيفة.

عزلت الدوامة أليس حتى فقدت وعيها وهي تفكر هل هي التي ستبحث عن ماريسا عندما تصلان إلى عالمهما، أم أن ماريسا هي من ستقوم بالبحث عنها! أم أنهما ستطوفان عالمهما تبحث إحداهما عن الأخرى.

الغريب

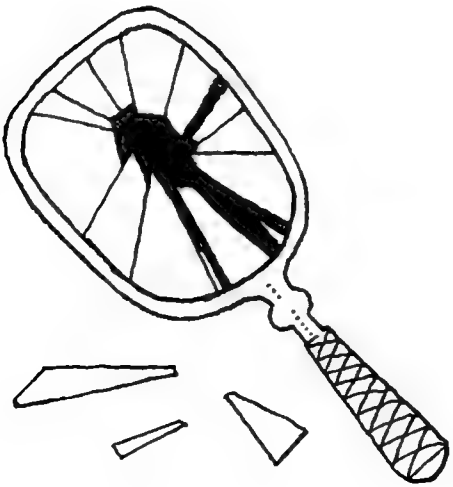

15. العودة

«أليس! يا أليس أجيبيني!»

همست أليس:

«ماريسا...».

كان المكان مظلماً وبارداً؛ فتحت أليس عينيها رويداً رويداً لتجد نفسها تستلقي على الثلج. والثلج يغمر كامل ساقها حتى الفخذ. حاولت ماريسا أن تسحبها لكنها لم تستطع. بدأت تتضح أصوات على مقربة منهما. ميزت أليس هذه الأصوات؛ صوت أبيها العالي وصوت أمها المنخفض، يسيطر عليهما القلق.

صرخت أليس بكلّ ما أوتيت من قوة:

«أنا هنا».

عجّل والداها الخطى متجهين نحوها. وهرعت والدتها تجثم قربها تعانقها وبدأ والدها يحفر في الثلج حول ساقها لينقذها.

سألت أليس:

«ما تاريخ اليوم؟»

أجابتها أمها:

«الثلاثاء».

«الثلاثاء من أي شهر؟»

«اليوم العشرون من شهر كانون الأول صغيرتي الساذجة، كيف وصل بكِ الأمر أن علقتِ بالثلج هنا؟».

الثلاثـاء، الواقع في العشـرين من كانـون الأول. اليوم ذاته الذي اختفت فيه أليس.

إذاً، لم تغب عن عالمها إلا للحظة واحدة.

همهمت مجيبةً:

«تتبعت آثار الأقدام في الثلج إلى هنا..».

تبـادل والداهـا نظرات الاسـتغراب؛ ورأت أليس في تعابير وجهيهما ما لم تستطع رؤيته من مكان استلقائها على الثلج. لا توجد أي آثارٍ هنا أو هناك. اختفت آثار قدمي المتحول!

«لحسـن الحـظ أنك لم تبتعـدي كثيراً عن هذه المنطقة». قالتها والدتها في الوقت نفسه الذي حرر والدها ساقها من الثلج. أكملت والدتها:

«لم يكن لأحد أن يتوقع ما سيحدث. ألم يكن هاتفك النقال بحوزتك؟ حاولت الاتصال بكِ مراتٍ عدّة لكنني لم أفلح في ذلك».

«نعم، كان معي، لكنه يحتاج إلى الشـحن، نسـيت البارحة أن أوصله بالقابس».

أجابت أليس والدتها التي اقتربت وحضنتها وهي تقول:

«الأهمّ الآن أننا وجدناكِ بهذه السـرعة. هيا فلنذهب إلى الداخل الآن قبل أن تصابي بالزكام. هل أصابتكِ الحمّى».

قالتها وهي تضع يدها على جبهة أليس لتتأكد.

عندما وصلوا إلى المنزل أخذت أليس مباشرةً حماماً ساخناً، وبدلت ملابسها وانتقلت إلى غرفة أخرى دافئة ثم جلست تشرب الكاكاو وتتناول بعض رقائق الجبن.

في خضم ما يحدث عصفت بأفكارها فكرة واحدة، أن تلتقط ورقةً لتكتب عليها رقم هاتف ماريسا. فهي حفظته وأعادته مراراً

وتكراراً؛ لكنها الآن تبدو عاجزةً عن تذكره. وما زاد الوضع سوءاً هو أنها لم تعد تذكر نسب ماريسا أو عنوانها أو أي شيء يسهل الوصول إلى صديقتها.

علماً أنها تذكرت كل شيءٍ آخر عن ماريسا بأدق التفاصيل، لكن كل ما له شأن بالاتصال بها بدا أنه محذوف بكل تفاصيله من ذاكرتها.

جلست أليس تحدق إلى الجدار أمامها. تفكر كيف لها أن تجد ماريسا الآن؟ لا يمكنها إلا أن تجلس على أمل أن ماريسا لم تعانِ من فقدان الذاكرة نفسه. فها هو هاتفها لا يعطي أي إشعارٍ؛ فلو أن ماريسا تذكرت كانت لترسل رسالة نصية على الأقل.

دخلت والدتها إلى المطبخ وفي يدها شيٌ ما، وسألت:

«ما بك يا أليس؟ ألم يعجبك شراب الكاكاو الذي أعددته لكِ؟ وجدت هذا في جيبِ معطفك. أيمكنني أن أرميها الآن أم أنها كنوز ثمينة من نوع ما؟».

ختمت كلامها وهي تضع على الطاولة قرب أليس حفنة من قطع مرآة ما، ريشة، وورقة ورد حمراء اللون. أسرّ رؤيتها قلب أليس؛ فأمكنها فوراً تمييز الريشة على أنها من ريشات غراب، والبتلة من الزهرات المغنية.

إذاً لم تكن أليس تعيش حلماً ما، وهي لم تكن تنسجه من خيالها.

جمعت أليس ما تناثر من أشياء وهي تردد:

«نعم هذه أشياء مهمة بالنسبة إليّ؛ بل إنها أعظم كنزٍ قد أحصل عليه يوماً».

«آه يا عزيزتي الصغيرة، كم أحبّ هذه الطفلة التي لا تزال تلعب داخلك».

قالتها أمها وهي تمرر يدها على رأس أليس بحنان.

لم تجد أليس ما تقوله تعقيباً على ذلك، مع أنها لم تشعر أنها تلك الطفلة التي تتحدث عنها أمها. لكن من شبه المستحيل أن تتمكن من إخبار أمها عن سبب ذلك.

لم توفر أليس أي جهد في البحث عن طريقةٍ لإيجاد ماريسا باستخدام ما يتاح الآن من أشياء. جلست لساعات طالت كثيراً أمام شاشة الحاسوب تفتش عن كل ما يمكن أن تجمعه من كلمات غريبة حول ماريسا.

تصفّحت كل ما وجدته من مواقع إلكترونية، وبحثت في أسماء كلّ فتيات الصف الخامس ظنّاً منها أن اسم ماريسا الكامل

سـوف يبدو مختلفاً عن غيره. لكن كل من حملت اسـم ماريسا بدا اسمها غير مميز:

ماريسا جونسون، ماريسا وودز، ماريسا نوردستورم، ماريسا بوول، ماريسا ستون، هذه كلها أسماء متشابهة بالنسبة إلى أليس! وحتى البحث في صور هؤلاء الفتيات لم يجدِ نفعاً! وكان مصير المهمة الفشـل الحتمي. هناك الكثير من الفتيات باسـم ماريسا فـي الصـف الخامس. ولا يمكن لأليـس أن تبحث بينهنّ واحدةً واحدة. عندها أدركت بأسى أن ماريسا ستكون مثلها؛ واقعة في مشكلة وجود الكثير من الفتيات باسم أليس في الصف الخامس.

حتى إنها بحثت عن اسميهما معاً علّ ماريسا تركت رسالةً ما لها؛ لكن كل ذلك لم يجدِ نفعاً. تركت بعض الرسائل المشفرة على كلّ ما يمكن أن يُترك عليه رسـالة: «ماريسـا، أليس تبحث عنك! لأنني لا أجد أجنحة ذئبٍ تأخذني إليكِ، أرسلي إليّ بريداً إلكترونياً». ثم أنشـأت عنوان بريد إلكرتوني لأجل هذا الغرض. ستعلم ماريسا أنها أليس من تبحث عنها، صديقتها الحميمة التي التقت بها في أرض الأخوات.

أرسلت أليس رسالتها إلى ما تعرفه من مواقع يرتادها الكبار والصغار مما يمكن أن يوجد في نتائج بحثٍ قد تقوم به ماريسا فتصل بالفعل إلى أليس.

تلقت أليس إجابةً واحدةً، من سيدة أربعينية باسم (ماريا) اعتقدت أنها ضالتها! لمجرد أنّها تمتلك وشماً لذئبٍ على ظهرها؛ وعلى أي حال فإنّ أليس لم تجب على رسالتها. يا لها من خيبة أمل كبيرة.

انقضـت فتـرة الأعياد في آخر العـام والضباب يحوط بكل

شـــيء؛ وتراءى للجميع أن هذا الضباب يلتهم الثلج! وكأن الثلج المتراكـم قـد لاقـى في هذا الضباب الأبيض ندّاً له! ولم يشـتكِ أحدٌ من عدم تسـاقط الثلج في الكرسـمس فالكلّ قد سئم الثلج في قرارة نفسه، ولم يخفِ أحد ارتياحه من الصقيع الذي أخاف الجميع سرّاً.

ذوبان الثلج وجريان الماء كانا كالموسـيقى العذبة بالنسبة إلى آذان الناس، الذين عادوا لتجوالهم بسعادة لا توصف. فليذب هذا الثلج وليملأ الوحل الشوارع، ولتتلاشَ القلاع الثلجية وليفقد جميع رجال الثلج رؤوسهم!

عـاد الفـرح والابتهاج إلى قلوب النـاس؛ ولمع في عيونهم بصيـص الأمـل، وتراءى لأليس أنهم يبتسـمون في خلوتهم فرحاً؛ وخلـت تصرفاتهم من اللؤم. لقـد أدركوا جميعاً التغيير الحاصل أو شعروا به باللاوعي، ولم يعرف سببه سوى أليس.

أخيراً عاد الدفء إليهم. وبعد أيامٍ عدّة من الضباب الأبيض المسـتمرّ، عادت الشـمس لتسـطع في كبد السـماء ولاح قرب أليس ظلّها ملقىً قربها على الأرض. إذاً، عادت الظلال أيضاً إلى عالمهـم، ولـم يعد الناس يفتقدون لأيّ جـزءٍ منهم. فأُعلن الآن انتصار أليس وماريسـا، وحققتا غاية رحلتهما كبطلتين سـرّيتين. ووجـب علـى أليس أن تسـعد بانتصارها هـذا، لكنها كانت في غاية الحزن. اسـتعاد الجميع أسـباب سـعادتهم وغبطتهم، إلا أن أليـس ظلـت تفكر بصديقتها التي خسـرتها، ومرّت الأيام بضجر دون أن تسـمع أليس من ماريسـا أي خبر. نظرت أليس بحزن إلى صديقتها القديمة، أليس الظلّ، متسـائلةً إن كانت هي آخر من تبقى لها من أصدقاء.

16. ألا تذكرين؟

بدأت المدرسة مجدداً، بعد أسبوعين ونصف من عودة أليس، وطفـق التلاميذ يعـودون إلى صفوفهم بعد فترة الأعياد، وكانت السـعادة تفيض من وجوه الجميع. بدا المدرسـون والمدرسـات وكلّ من في إدارة المدرسة أكثر بهجةً.

ولكن الغم والهم ظلا مسـيطرين على مشـاعر أليس، التي أمضـت أوقاتهـا منعزلة تضـم ركبتيها إلى صدرهـا محدقة إلى قطـرات الميـاه المتشـكلة من ذوبان الثلـج، مفكرة بما عرضته عليها الملكة ليلي في ما خص إقامتها وماريسا في أرض الأخوات؛ وتوصلت إلى ما يشبه القناعة بأنه ربما كان يجدر قبول العرض، فما أهمية العودة إن كانت مقترنة بخسارة كل ما خسرته؟

كان بإمكانهـا أن تجلـس تحت شـجيرات الـورود المغنية تسـتمع لألحانهـا، وتراقب باهتمام ما تحيكه ناسـجات الأحلام، وكانت لتذهب أيضاً في رحلةٍ بحرية مع ماريسا في البحر العياني أو تطير مع التنانين. كان عالمها الحقيقي.. حقيقياً بطريقةٍ مملّةٍ للغاية. كلّ ما فيه كليلٌ وصغيرٌ ورمادي اللّون. وبدأت أليس تيئس من إمكانية العثور على ماريسا في هذا العالم.

تنهّـدت طويـلاً وهـي تتمنى أن تغفو قليـلاً على مقعدها عسـاها تجد في الأحلام ما هو ممتع ومثير. وتنبهت إثر طرقةٍ على باب الصّف، أوقفت معلمتها عن كتابة مسـألة الرياضيات

على السبورة لتخاطب التلاميذ:

«يبدو أن تلميذتنا الجديدة قد وصلت للتو».

إثـر ذلك، عمّ شـيءٌ من الصخب الصـف، وبدأت أحاديث الأطفال الجانبية وهمساتهم. أما أليس فاكتفت بتعديل جلستها، وتنبهـت لمـا يجـري حولها، فلطالمـا كان التلاميذ الجدد مصدر حديث ومحطّ أنظار الجميع.

عندما فتحت المُدرّسة الباب، وبمجرد أن لمحت أليس الفتاة الجديدة، حتى هتفت دون تردد: «ماريسا!»

كانت سعادة أليس لا توصف، فها هي ماريسا تقف أمامها مرة ثانية. والجميع ينظرون إلى أليس.

نظرت المعلمة إلى أليس وإلى ماريسا طويلاً قبل أن تسأل:

«هل تعرفان إحداكما الأخرى؟»

ترددت أليس وهي تجيب:

«حسناً.. ليس حقاً.. نوعاً ما..».

أما ماريسا فأخذت تنظر إلى أليس وكأنها تراها للمرة الأولى في حياتها وأجابت بهدوءٍ:

«أنا لا أعرفها البتة».

نعـم بالطبـع، تنبهـت أليس للموضـوع، فعليهما أن تخفيا سـرّهما عن الجميع. وهذا ما يدلّ على رجاحة تفكير ماريسـا. وبإمكانهما أن تتكلما ما إن تصبحا وحدهما!

إذاً، انتقلت عائلة ماريسـا إلى المدينة التي تسـكنها أليس لكن إلى أي حيٍّ بالضبط؟

آه، كم تمنت أليس لو أن ماريسا تسكن قربها، لكان طريق الذهاب والعودة إلى المدرسة أكثر متعةً؛ ولكانتا أمضيتا وقتيهما معاً لحظةً بلحظة.

جلســت أليــس في مقعدها، وكأنّ الفــرح يهطل من غيمةً فوق رأسها دون توقف. فها هي أمنيتها تحققت بمجرد أن فتحت المعلمة باب الصف للطالبة الجديدة.

أخبــرت ماريســا الصــف أنّ عائلتها قد انتقلــت إلى هذه المدينــة مؤخــراً، وأن لديها أخوين صغيرين وأنها تحب الرســم. رحّــب الجميع بماريســا، وخصصت لهــا المعلمة مقعداً لتجلس عليه قرب ليلي وجوناس، على الرغم من محاولات أليس أن تبدو الخيار الأمثل لأن تجاور ماريسا بمقعدها.

تلكأت أليس عن مغادرة الصف في فترة الاستراحة كزملائها الباقين، عندما كانت ماريسا تخرج إلى الاستراحة مع ليلي وجوناس نادتها أليس.

«يا ماريسا!»

وعلى مضض، استدارت ماريسا وأجابت على ندائها:

«نعم؟»

«هناك ما أريد التحدث معكِ بشأنه» حاولت أليس بأقصى طاقتها أن تظهر خصوصية الموضوع وإلحاحه. فهمســت ماريسا بضــع كلمــات في أذن ليلــي وجوناس اللذين قهقها إثر ذلك ثم غادرا الصف.

اقتربت ماريسا بعض الشيء من أليس التي اقتربت بدورها لتعانق صديقتها. لكن ماريسا ابتعدت عنها وهي تقول باستغراب:

«ما الذي تفعلينه!؟».

نظرت أليس إلى عيني ماريسا، وطمأنتها قائلةً:

«يجــب عليــك أن لا تدّعي أنك لســتِ صديقتي بعد الآن! فلا أحد هنا ليستمع إلى أسرارنا ولن يعلم أحدهم أننا صديقتان

حميمتان ولا عن معرفتنا بأرض الأخوات».

«لا أعلم ما الذي تتكلمين عنه! فلم يسبق لي أن التقيت بك».

لم تفهم أليس ما الذي تفعله ماريسا ولِمَ تقول ما تقوله!؟ ما الذي يخيفها حتى الآن؟

مدّت يدها وشبكتها بيد ماريسا.

«أحقـاً، لا تذكريـن؟ يدانا مجتمعتـان.. عندما أصبحتا يدي تنين؟ وهزمنا معاً نافثات الثلج وماصات الحرارة. وكسرنا المرآة. ثمّ قطعنا عهداً أن تجد إحدانا الأخرى فنحن...».

هزّت ماريسـا يدها بعنف وهي تسـحبها من قبضة أليس، كما لو أن أليس تضغط بكل قوتها وتؤلمها.

وهي تقول بحزم:

«أجننتِ أيتها الفتاة؟ من تحسـبين نفسـك؟ لم يسـبق لي أن قابلتـك، ولـم أذهـب معك إلى أي مكان في حياتي ولسـنا صديقتيـن مقربتيـن، لـم نكن يوماً ولن نصبـح أبداً. لا تتكلمي معي بعد اليوم!»

كان الصوت صوت ماريسـا، ولكن بدت فيه نبرة القسـاوة والحنـق، أمـا عيناهـا فبدتا حادتيـن وكأنهما سـكينين حادتين مصوبتان نحو أليس.

هرعت ماريسا خارج غرفة الصف من دون أن تلتفت إلى الوراء، تاركةً أليس خلفها غارقة في الصمت، يقطع سكونها أصوات ضحك الأطفال في باحة المدرسـة. من هول المفاجأة انحبسـت دموع أليس وأبت أن تنهمر، وسـرت القشـعريرة في جسـدها، وعبرت شرايينها، قبل أن تصل قلبها جارفة منه كل المشاعر.

امتنعت أليس عن التحدث إلى ماريسا لفترة من الزمن. راقبتها

وهي تحادث الجميع عداها، وقلبها ينفطر في كل مرة تقع عيناها على ماريسا، لتعود أليس في كل ليلة إلى أرقها، تستلقي على سريرها محدقة إلى السقف طوال الليل. جربت أن تتدثر ببطانيتها لكنها شعرت بالحرارة الزائدة؛ ودون البطانية شعرت بالبرد القارس. لم يبدُ أن السرير والدثار يغيران شيئاً في هذا الأرق.

علمت أليس هذه الحقيقة، وأنها لن تجد وسيلة ولا درجة حرارة مناسبة ولا جهة مريحةً تنام عليها. فلا شيء سيريح قلقها أو يشغلها عن التفكير في ماريسا. الموضوع بالفعل أكبر من أن تستوعبه أليس. كيف للكون الذي منحها صديقة مفضلة أن يحرمها منها هكذا. فهي لو لم تلتقِ بماريسا لم تكن لتشتاق إليها إلى درجة عدم تمكنها من النوم.

لم تظن أليس يوماً أنها ستشتاق إلى شخص ما إلى هذه الدرجة.

لكن ماذا لو أنها حقاً لم تعرف ماريسا، ولم تكن يوماً صديقتها؟ ربما كانت في أرض الأخوات وحدها، وحاربت الملكة ليلي وحدها؟ هل التفكير بهذه الطريقة يجعلها تشعر أنها أفضل حالاً؟

لا، ليست هذه حقيقة ما تمنته. لأن لقاءها ماريسا من أعظم ما حدث في حياتها. فهي الأولى والوحيدة التي تمنتها أن تشاركها كل ما تقوم به، فهي أول من فهم أليس. لقد كانت صديقتها المفضلة، وأعزّ صديقة في الوجود.

من المرجح أن بقاء ماريسا متوارية عن ناظريها، كان أفضل بالنسبة إلى أليس، أو هذا ما اعتقدته على الأقل، مقارنةً بعودتها كفتاة غريبة لا تعرفها.

ماذا لو كانت هذه بديلة أو شبيهة لماريسا التي عرفتها؟ وبالاسم ذاته؟

sea
ocean
Pacifi
Atlant
Indian
outh

ربمـا كانت شـقيقتها التوأم الشـريرة؟ ماذا لـو كانت فتاةً مختلفةً بالكامل؟

لا.. فأليـس متيقنـة أنها ماريسـا، صديقتها التي تعرفها، ولا يمكنها أن تفسّر ثقتها بذلك. فبعض الأشياء في الحياة لا تحتاج إلى تفسير حتى تؤمن بها.

كيف لماريسا ألا تتذكر؟ كيف لها أن تنسى من تكون أليس؟

ماذا لو كان كل ما خبرته حلماً؟ أو ربما هلوسة؟ ولم يكن هناك عوالم أخرى ولا ملكات، لا متحولون ولا بوم يُدعى غراب؟ وكان ذلك كلّه من نسج خيال فتاة في الحادية عشرة استغرقت في النوم أطول من المعتاد.

حتى هذه الفكرة، لم تجلب المواساة الكافية لأليس، ولكنها في الوقت عينه لم تجد تبريراً موضوعياً لما يجري؛ فريشة غراب بحوزتهـا، ومثلهـا أيضـاً قطع مرآة الظـلال، والبتلات الملونة من الزهرات المغنية تذكرها بكلّ ما حدث. من دون أن ننسى قبلة المتحول المطبوعة على ساقها.

من المؤكد أن أليس كانت في أرض الأخوات، وكل ما تذكره حصل بالفعل، ورافقتها فيه ماريسا لحظة بلحظة. ولسبب تجهله نسـيت صديقتها وأصبحت تعاملها بعدائية نوعاً ما؛ فماريسـا لم ترد أن تقترب منها أليس بأي شكل، ولمِ تترك فرصةً إلا وأوضحت لأليس ذلك.

آه، كيف لفتاةٍ صغيرةٍ كأليس أن تحتمل هذا الحال، وجلّ ما تتمناه هو قضاء الوقت مع ماريسا؟ فهي تريد أن تكون صديقتها حتى وإن لم تتذكرها.

17. قبلة المتحول

انقضى شهرٌ منذ مفاجأة قدوم ماريسا إلى المدرسة، حاولت خلاله أليس مصادقة ماريسا بشتى الوسائل. فعسى أن تتذكر، في إحدى اللحظات، الصداقة التي جمعتها بأليس، ومغامرتهما في أرض الأخوات. قد تحتاج أليس لبضعة تفاصيل لتذكرها بها، كذكرها لغراب ولجنيات الريح، أو للمتحول والتنانين، أو حتى سفينة لوكس ذي عيني الثعلب.

ولكن أليس أدركت استحالة بدء صداقة مع فتاةٍ لا تريد حتى أن تنظر إليها. لكنها لم تعدم وسيلة للتقرب منها فأخذت تحادثها عن تفاصيل الحياة اليومية وغيرها، كحال الطقس أو حتى شؤون المدرسة؛ لكنّ ماريسا لم تستجب لها، بل اكتفت بالابتعاد، وكأن أحداً لم يطرح أي سؤال، وكأن أليس غير موجودة.

سألتها مرةً عما إذا أرادت أن تشاركها في تجربة العلوم، لكن ماريسا لم تجب بل التفتت إلى ليلي وسألتها إن كانت تريد العمل معها في مشروع العلوم. ومع ذلك لم تستسلم أليس فكتبت لماريسا رسالةً مفصّلة حول مغامرتهما، لكن ماريسا لم تفتحها بل رمتها في سلة المهملات أمام ناظري أليس، التي ما كان لها إلا أن تسترجع الرسالة خوفاً من أن يكتشفها أحد آخر.

ذات مرة، جرّبت أليس أن تعتذر، وتأسفت عن قصصها الملفقة التي ابتكرتها حتى تجذب اهتمام ماريسا؛ لكن ذلك أيضاً

لم يجدِ نفعاً. لم يبدُ أنها تهتمّ بوجود أليس، وفعلت ما بوسعها لتتجنبها. كان البكاء صديق أليس كل ليلة، وكثيراً ما هوّن البكاء أرقها وأخلدها إلى النوم.

صَعب عليها التكلم عما يختلجها من مشـاعر، فلن يفهمها أحد؛ عدا ماريسا. ماريسا التي كأنها شخص مختلف تماماً، ماريسا لم تعد ماريسا بعد اليوم.

في ذلك الشهر، لاحظت أليس تغيرات أخرى في ماريسا عدا نسيانها التام لأليس. فهي متقدة الذكاء وأفضل التلاميذ في الصف فـي كل المـواد، لكنها أصبحت أكثر غروراً وعاملت المنافسـين باحتقار وتعالٍ. كانت موهوبة بالرسـم، فقد كانت ترسـم لوحات غنية بالتفاصيل، إلا أن تلك اللوحات كانت مجردة من الأحاسيس. وكثيراً ما سمعتها تغتاب زملاءها بعبارات وضيعة؛ لم تكن متنمرة بصريح العبارة لكنها لم تدخر جهداً في تقييم الجميع وإحراجهم.

ولـم يقتصـر التغير على ما سـبق، بل طاول ضحكتها، تلك الضحكة التي أحبتها أليس كما لم تحب ضحكة من قبل، فضحكتها لم تعد الضحكة المنعشة التي تزرع البسمة على وجوه الجميع، بل أصبحت قاسية، باردة وحادّة وموحشة.

نعم، مضى شهر منذ بدأت أليس محاولاتها لاسترجاع صداقة ماريسـا قبل أن تقرر أن تتخلى عن محاولاتها البائسـة في إثارة إعجابها. فأليس نفسـها لم تعد واثقة أنها تريد صداقة ماريسـا هذه؛ فماريسـا جعلتها تبغضها، وحولت أليس إلى شـخص كريه الطباع بدوره.

اتخذت أليس قرارها وحسمت أمرها، لكنها بقيت تتألم في كل مرة ترى فيها ماريسا. وعندها قررت أن تتجنبها وتتوارى عن

أنظار من كانت يوماً صديقتها. وتناســت ما أمكن مغامراتها في حديقة الأسرار.

نعم، ربما لم يكن الأمر أكثر من حلم مجنون لا أكثر.

وذات يوم، وبعد خروج أليس مع زملائها من حصة الرياضة، رأت شــيئاً مثيراً للعجب. كانت تنهي اغتســالها وترتدي بنطالها عندما تسمرت لثانية أمام المنظر. كانت العلامة التي تركتها قبلة المتحول تشــعرها بالحرقة وبالوخز بشكل غريب. وقعت عيناها على ما يناظر علامتها على ســاق الفتاة التي تلبس جوربها على المقعد قربها، إذ كانت حمراء تدل على حرارتها أيضاً.

هذه الفتاة هي ماريسا.

كيف لأليس ألا تعلم هذا؟ فالدمغة نفسها يجب أن تكون على ساقها لأن المتحول قبلهما معاً وفي المكان عينه.

لاحظــت ماريســا نظــرات أليس المحدقة فســارعت بلبس جوربها وقالت مستهجنة:

«ما الذي تنظرين إليه أيتها الحمقاء غريبة الأطوار؟».

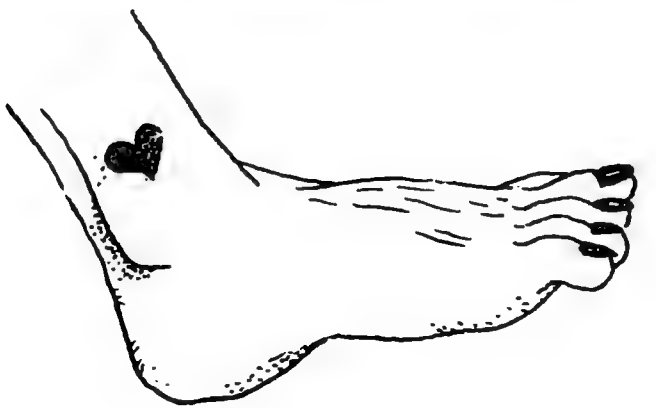

قسوة ماريسا لم تزعج أليس هذه المرة بالتحديد، فسعادتها كانت أعظم من أي شيء آخر. فهي لم تكن تحلم بأرض الأخوات! بل هناك عالمٌ آخر حقيقي سـافرت إليه مع ماريسـا، صديقتها المقربة ماريسا التي تجلس بالقرب منها الآن.

كبحت أليس سعادتها ولم تنبس ببنت شفة.

18. السيدة من المعرض الفني

لقد كانت رحلتهما إلى العالم الآخر حقيقة إذاً، لكن لا سبيل واضح لتذكير ماريسا بما جرى. أيمكن لأحد المعالجين بالتنويم المغناطيسي مساعدة ماريسا في استرجاع ذاكرتها؟ أو يمكن لبعض الأدوية أن تنعش ذاكرتها؟ امتلأ رأسها بالأسئلة وهي تمشي في طريق العودة من المدرسة.

ذات مرة وبينما كانت عائدة إلى البيت سيراً على القدمين؛ أحست أن أليس الظل تقودها إلى مكان آخر، فحرفت مسارها وتبعتها. أليس الظلّ وأليس المرآة، صديقتاها الوحيدتان للمرة الثانية.

قادتها أليس الظل على طول الطريق لتحدق إلى انعكاسها في زجاج المحال التجارية تسأل صديقتها أليس المرآة:

«هل سأكتشف علاجاً فعالاً لفقدان ماريسا ذاكرتها؟».

حدقت إليها أليس المرآة من واجهة أحد المعارض الفنية. وبغموضٍ سمعت الردّ:

«إن بحثتِ بتمعّن ستجدين حلاً».

كانت إجابة أليس المرآة كفيلة بجعل أليس تشهق مصدومة، لكن إحدى المعروضات في تلك الواجهة استوقفتها. لوحةٌ رسم عليها ذئبٌ وفراشة! لقد كانت اللوحة منفذة بمهارة فائقة، بحيث يمكن للناظر أن يرى كلاً من الذئب والفراشة بمجرد تحريك رأسه من زاويتين مختلفتين! وكأن الحيوان يتغير ويتحول بين الشكلين.

همست أليس:

«متحوّل...».

ونظرت أليس إلى التوقيع على اللوحة، كان التوقيع باسم آنا شورز.

متحوّل.. وفتاة باسم آنا! لا يمكن أن تكون هذه مجرد صدفة!

لا بدّ أنها آنا نفسها التي سمعت عنها في أرض الأخوات، صديقة الملكة ليلي التي تسببت بقسوة قلبها وبرود مشاعرها.

فتحت أليس باب المعرض الفني، وأعلن رنين جرس صغير معلق فوق الباب عن دخولها. بدت صالة المعرض الفني خاليةً عدا عن اللوحات المعلقة على الجدران، لفتت نظرها مجموعة من أربع لوحات بعنوان: حديقة الأسرار.

من رسم هذه اللوحات لابدّ أنه زار الحديقة. شاهدت أليس غراباً في اللوحات، وجنيات الريح، رأت أيضاً ناسجات الأحلام والنطاطات. كلّ كائنات الحديقة الجميلة والغالية على قلبها. كانت اللوحات تنبض بالحياة، تلك الحياة التي عاشتها في أرض الأخوات، كلها موجودة في ضربات ريشة من رسمها، وكأنها تسحب أليس مجدداً إلى الحديقة. فعادت رائحة الورود المغنية تعبق في أنفاس أليس.

فجأة، ظهرت سيدة ذات شعرٍ رماديّ من إحدى الغرف الخلفية ابتسمت وهي تسألها:

«تفضلي، كيف لي أن أساعدك؟».

مكتبة

أشارت أليس إلى اللوحات وهي تجيب:

«أنا كنت هناك، كنت في حديقة الأسرار ورأيت الأقمار

الخمسة لأرض الأخوات».

خطفت كلمات أليس أنفاس السيدة التي حاولت أن تأخذ نفساً عميقاً قبل أن تقول:

«لم أعتقد أنّني سأسمع هذه الكلمات من أحدٍ آخرَ...».

«أنا أليس، لا بدّ من أنك آنا».

أومـأت العجـوز موافقةً، واسـتندت إلى طاولـةٍ قرب أحد الجدران وهي تشرح:

«أنا آسفة فقد فاجأني ما قلته للتو. عليّ أن أجلس، تعالي اجلسـي قربي أنتِ أيضاً، يبدو أنّ هناك الكثير مما يجب علينا التحدث بشأنه».

جلبـت آنـا بعضاً من العصير والكعـك المحلّى من الغرفة الخلفية. كان شعرها الرمادي ملفوفاً أعلى رأسها على شكل كعكة؛ وكانت عيناها خضراوين كعيني ماريسا تماماً.

بدا من ملامحها أنها سيدة لطيفة لكن حزينة بعض الشيء. زيّنـت أسـاور كثيـرة معصمها، وكانت ترتدي فسـتاناً محاكاً من نقشاتٍ مجدولةٍ معاً، وتبعثرت فوقها بعض الأزهار الملونة.

بدأت آنا تحكي:

«لقد بدأت تساورني شكوك إن كانت زيارتي لأرض الأخوات قد حدثت فعلاً أم أنها مجرد حلم عابر، فزيارتي كانت منذ نحو سبعين عاماً، والآن أخبريني كيف انتهى بك المطاف هناك وما الذي حدث؟»

ارتشـفت أليـس قليلاً مـن العصير قبل أن تروي للسـيدة العجـوز كلّ مـا حدث في مغامرتها هنـاك. وعندما وصلت إلى نهايـة القصـة حين تتغلـب على الملكة ليلـي، دمعت عينا آنا الجميلتان، فرفعت يدها تمسح الدمعات وتقول:

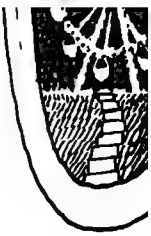

«هكذا أصبحت أحوالها إذاً... إنه لأمرٌ محزنٌ حقاً».

«تعتقد الملكة ليلي أنك رحلتِ عن أرض الأخوات لأنك شعرتِ بالضجر ورفضتِ صداقتها حينذاك».

«لا، لم يكن هذا هو السبب على الإطلاق».

«عندها حاولت الملكة أن تجعل أرض الأخوات أجمل بقاع العالم وفي صيفٍ واخضرارٍ دائمين حتى ترغّب من يأتـي بالبقـاء وألا يترك ذلك المكان أبداً. فهي أرادتني أنا وماريسا أن نبقى هناك معها ونصبح صديقتيها».

تنهدت آنا:

«يا لك من مسكينة يا ليلي، لا يمكنك أن تصبحي صديقة أحد بالقوة! أو أن تصفّدي الأشخاص كما فعلتِ بالتنانين!»

سألت أليس:

«كيف كانت الملكة ليلي عندما كنتِ إلى جانبها؟»

لاحت الرقة والعذوبة في ملامح وجه آنا، وبدأت تنبسط بعض تجاعيد جبهتها، لتبدو كأنها صغرت بلحظة عشرة أعوام وشرعت تقول:

«كنت فتاةً صغيرة حينها، ربما كنت بعمرك تقريباً. في أحد أيام الصيف، وبينما كنت ألعب الغميضة مع شقيقاتي في الغابة ضللت طريقي، وفجأة وجدت نفسـي في مـكانٍ غريبٍ للغاية. ثم رأيـتُ ذئباً كبيراً أجفلني فهربت راكضةً ولكن بدا أن الأرض انشطرت لتبتلعني ووقعت في أرض الأخوات».

توقفت آنا للحظة تستجمع أفكارها لتكمل:

«كل ما وصفته من مخلوقات كانت هناك عندما أتيت.

لكن التنانين كانت تتمتع بحريتها وكانت تطير في سماء حديقة الأسـرار ولـم يكـن هناك أي بوابة للحديقـة، بل كانت مفتوحة لجميع من يدخلها.

وليلـي كانت حينها صغيـرةً مثلي، مجرد فتاةٍ صغيرة، لكن مع قوىً سحرية كبيرة. فهي جعلت المتحول يجلب لها صديقة تلعب معها وتؤنس وحدتها».

سألت أليس:

«لكـن لا يبـدو أن جميـع من فـي أرض الأخوات يتذكرون هذه الأحداث؟»

«إن مفهوم الزمن يختلف هناك عن عالمنا. فانقضاء سبعين عاماً هنا يعني أن قروناً قد حلّت ورحلت عن أرض الأحلام».

«إذاً هل أصبحتما صديقتين؟ لقد رأينا صورة تجمعكما في حديقة الملاهي المهجورة».

«نعـم يـا صغيرتي صرنا من أعـزّ الصديقات، ولم أحلم أن أحظـى بصديقـةٍ مثل ليلي بحياتي. وكانت مدينة الألعاب مكان لعبنا الخاص. ولذلك أسميناه ليليآنا (ليلي-آنا)».

«إذاً لمَ..؟».

أكملت آنا سؤال أليس:

«ستسألينني لمَ عدت.. عدت لأن عائلتي هنا، ومنزلي هنا، ووطني هنا. وبالرغم من أن أرض الأخوات مكان بديع للغاية لكن انتمائي هو لعالمنا وهذا ما صعب فهمه على ليلي. فنشب بيننا شجار كبير طلبتُ على إثره من المتحول أن يعيدني إلى الغابة، واستيقظت فجأة في الغابة حيث ضللت طريقي.

سـاعات كانـت قد انقضت لا غيـر في عالمنا بينما قضيت صيفاً كاملاً في أرض الأخوات».

وضعت آنا يدها على جبينها تدلكه، ورنّت الأساور في يدها وتنهدت قائلةً:

«لقد ندمت على قراري بالعودة لاحقاً، لكني رحلت بشكلٍ عاصفٍ غاضب وبقي قلبانا منفتحين على الحب أنا وليلي. والآن بعد أن سمعت منكِ أنها كانت تجمع الغضب والغل في قلبها طوال هذه السنوات...».

«من الصعب جداً أن يحتمل المرء استخفاف صديقه بصداقته واحتقاره لها».

قصّت أليس على آنا كيف أصبحت مشاعر ماريسا تجاهها، وكيف أنها لم تميزها ولم تصدق ما حكت ثم طلبت رأيها سائلةً:

«لِمَ برأيك تتصرف ماريسا بهذه الطريقة؟ وكيف لي أن أحملها على التذكر؟».

تأملت آنا لحظة وهي تدرس الأمر ونطقت أخيراً:

«مرآة الظلال، كانت ليلي تبنيها فيما مضى. أخبرتني لو أن قطعة زجاج من المرآة دخلت في شخصٍ ما فسيدب في قلبه وروحه برودٌ شديد، وسينسى كل ما خبره في أرض الأخوات يوماً. نعم كانت المرآة موضوع أحد خلافاتنا، لأني رأيت أن وجود مرآة كهذه أصلاً أمرٌ خاطئ!

يمكنني أن أتخيل أنكما عندما كسرتما المرآة قررت ليلي أن تدخل إحدى الشظايا في ماريسا. فلا يمكنكما أن تظلا صديقتين إن لم يكن لها صديقة!»

أصغت أليس إلى حديث آنا باهتمام كبير، وأصبحت الصورة واضحةً أمامها عمّا جرى وسبّب اختفاء صداقتهما من قلب صديقتها المفضلة.

لا بدّ أنها قطع المرآة هي ما رأته يلمع في عيني ماريسا يومها. فسألت:

«كيف لي أن أخرجها من ماريسا؟».

أجابت آنا:

«هناك شيءٌ واحدٌ يذيب قطع المرآة، دموع ليلي».

«إذاً عليّ العودة إلى أرض الأخوات».

«إن كنت ستعودين يا صغيرتي هل يمكنك أن توصلي رسالةً مني إلى ليلي؟ فهي تستحق أن تعرف أني لم أنسها يوماً».

أومأت أليس موافقةً: «بالطبع سأفعل ذلك».

كتبت آنا رسالتها على ورقة صغيرة، ولفتها بشكل جيد، ووضعتها في قارورةٍ زجاجية صغيرة، أغلقت فوهتها بسدادة فليـن، ولفّتها بشريطٍ من الجلد، وأحاطت به عنق أليس التي دسّت القارورة أسفل ملابسها حيث خبأتها عن العيون.

ربتت آنا على كتف أليس، ونظرت إليها بعينين مغرورقتين بالدمع قائلةً:

«شكراً لك لأنكِ تكبدت عناء المجيء يا صغيرتي أليس. فلولاكِ لكنت ظننت أن كل ما حدث هو حلم أو خيال. ولم أجرؤ أن أخبر أحداً بما شاهدته، وما اختبرته هناك حتى لا يحسبونني فقدت عقلي. إنني عجوز ساذجة حتى قبل أن أبدأ برسم ما أذكره. أتمنى أن تنجحي باستعادة صديقتكِ، وتعاليا لنأكل الكعك معاً».

أجابت أليس:

«بالطبع سنزورك لإلقاء التحية».

بدأت عينا أليس تذرفان دموع الفراق هي الأخرى وآنا تعانقها وتضمها إليها بشدة.

19. مياه أخرى وأراضٍ أخرى

وحدهم المتحولون يستطيعون السفر بين العوالم. هذا ما جـال فـي ذهــن أليس تلك الليلة حين خيّـم الظلام على أرجاء غرفتها، وبدت أفكارها مشوشة.

لا يمكن أن يأتي المتحولون إلا إذا ناديتهم.

«أيها المتحول بدّل شــكلك، أيها المتحول بدّل شــكلك، أيها المتحول بدّل شــكلك، أيها المتحول بدّل شــكلك». همست أليس مراراً وتكراراً وهي تنظر إلى السقف.

كانــت تلــك تعويذتهــا، وأمنيتهــا وأملها. ظلــت تردد تلك الكلمــات إلــى أن أصبحت أحرفها ألواناً وومضات نورٍ تشــع في مخيلتها لتعبر سقف غرفتها إلى سماء تلك الليلة الداكنة، وتحملها معهــا لتطيــر إلــى عالمٍ لم تزره من قبل. هل هي حقاً موجودة الآن؟ مــاذا لــو أن تحطيم مــرآة الظلال دمّر أرض الأخوات؟ هل سيبقى أي من المتحولين بعد الآن؟ لم تعلم أليس شيئاً عن ذلك. لقد آمنت أن أحداً أو شيئاً ما سيسمع نداءها. أحكمت قبضتها على الزجاجة التي كانت آنا قد أعطتها إياها.

غرقت أليس في حلم رمادي، أحاط اللون الرمادي بها كغيمةٍ ضبابيةٍ كثيفة برائحةٍ رطبة وشعورٍ محملٍ بالبرد والألم. لم تستطع رؤية شــيء ســوى الضباب. ســمعت أليس صوتاً مألوفاً، بدا ذلك

الصـوت رقيقـاً ومرتجفـاً. ثم ما لبث أن ظهـر من بين الضباب متحول على هيئة تنين طائر. لقد كان مليئاً بالألوان الزاهية، بدا جميـلاً جـداً لدرجةٍ جعلت أليس تبدأ بالبكاء. تحول ذاك التنين إلى ذئب، وأقحمت أليس وجهها في فروه الناعم. لقد شـعرت بالدفء، والتمسـت عمق الغابة، وبعد أن غمرت دموعها فروه شعرت بالارتياح.

لم تدرك أليس لماذا كانت تبكي. لعل السبب كان خسارة صداقة ماريسا، وصداقة آنا وليلي الضائعة. أصدر المتحول صوتاً عميقـاً هادئـاً مبحوحاً، بدا وكأنه ما بيـن الخرخرة أو الدمدمة. توقفـت أليـس عن البكاء تدريجياً ومسـحت دموعها بفروه. ثم نظرت إلى عيني ذاك الذئب الذهبيتين. لقد حان الوقت لتسأل ذلك السؤال الذي لم تكن تجرؤ على طرحه بصوت عال.

«كيف لي أن أعود إلى أرض الأخوات؟».

إن قال المتحول إن ذلك مستحيل، فستخسر كل شيء.

«هذه المرة لن أستطيع المجيء لأجلبك، لأن جناحي أصبحا ضعيفيـن. ولا يمكننـي الطيران بعيداً. لقد تغيرت أرض الأخوات. لم يعد هنالك كثير من السحر. لن أعدك أنك تستطيعين العودة إلى عالمك، أنت مهددة بعدم العودة مجدداً. مهمتك صعبة جداً، ويحتمل أن لا تنجحي فيها».

سـمعت كلمات المتحول، وأدركت مدى جديتها. لقد نطق بالحقيقة. لكنها لم تكن خائفة. كانت تعرف ماذا تريد.

سألته أليس: «أخبرني ما الذي عليّ فعله؟».

لمعـت عينا المتحول الذهبيتـان. انحنى مقترباً من أليس،

وهمـــس بالتعليمـــات فـــي أذنها، فانحفرت في ذهنها كما لو أنها أحـــرف مـــن ذهب. ثم اختفى المتحـــول داخل الضباب الرمادي، الذي لم يعد حلماً بعد الآن، بل كان لون الصباح الرمادي، الذي شق طريقه عبر نافذة غرفتها.

فـــي اليـــوم التالي، وقفت أليس على أرض برج الغطس في حوض السباحة، مرتجفةً من البرد والخوف. عن سابق عزمٍ وإصرار، أتت من المدرســـة مباشـــرةً إلى حوض الســـباحة. لقد أدركت ما كان عليهـــا فعلـــه. لكنهـــا لم تكن مقتنعةً تمامـــاً أنها تجرؤ على فعل ذلك بعد الآن.

اصعدي إلى أعلى الســـلم ثلاث مرات، وانزلي إلى الأســـفل ثلاث مرات، ثم إلى الأعلى مرةً أخرى.

كانـــت تلـــك تعليمات المتحول الأولـــى. بدأت أليس تصعد السلم لتصل إلى المنصة التي كان ارتفاعها خمسة أمتار. وعندما وصلت إلى القمة، أخطأت ونظرت إلى الأسفل. لقد كانت المنصة أعلى مما تخيلت. هرعت لتعود نزولاً. كان ذلك الجزء الأسهل من التعليمات. عندما وصلت إلى الأرض، التقطت أنفاســـها وعاودت الصعود مجدداً. ثم نزلت مرة أخرى. وحين بدأت الصعود للمرة الثالثـــة، بـــدأ الناس يلاحظـــون تصرفاتها الغريبـــة. لاحظت أليس المنقذ يغادر منصته متجهاً نحو منصة الغطس.

وعندما وصلت أليس إلى الأرض مجدداً، رمقها المنقذ عابساً.

«ما الذي تصعدين من أجله؟ هذه الســـلالم ليســـت مكاناً للهو».

لقد كان رجلاً يافعاً ونحيلاً.

«أريد أن أقفز، لكنني أشعر بالخوف في كل مرةٍ أصل فيها إلـى القمـة». أجابته وهي تخفي الزجاجة التي أعطتها إياها آنا خلف ظهرها.

لم تكن تكذب، على الأقل لم تكن تكذب كثيراً.

قال المنقذ: «ماذا لو تعودين وتحاولين القفز عندما تصبحين أكبر قليلاً. عندها لن تكوني خائفةً كثيراً».

بدا صوته مفهوماً ومشجعاً بشكل مفاجئ.

ردت عليه: «لكنني أريد القفز الآن»..

تنهـد المنقذ.. ثم أجابهـا: «لا يمكنك التردد صعوداً ونزولاً على السلم طوال اليوم».

خاطبته أليس محاولةً أن تبدو مقنعة قدر المستطاع: «أعدك أنني عندما أصعد هذه المرة، سأقفز».

رمقها المنقذ بنظرة شك. ثم رضخ للأمر.

«حسناً. لكن لا إضاعة لمزيد من الوقت!».

فابتسمت ابتسامةً جميلةً وهزت رأسها.

ثم عاودت صعود السـلم للمرة الرابعة، بساقين مرتجفتين، لأنهـا أدركـت أن عليهـا القفز فعلاً. لم يسـبق لها أن قفزت من هذا العلو. عندما وصلت إلى الأعلى، نظرت إلى المياه المتلألئة في الأسفل. لقد كانت بعيدة جداً. كان لونها أزرق فيروزياً مثل البحر العياني، لكنها بدت غير مسالمة، في حين أن البحر العياني لطالما بدا مرحاً وجذاباً.

تشبثت أليس بالدرابزين ما إن شعرت أن ساقيها ستنزلقان، فقد أصبحتا فجأة رخوتين، وكأنهما مصنوعتان من المارشـميلو.

ظنت أنها لن تجرؤ على القفز أبداً.

لكنها عندما فكرت بماريسا. قررت أنها ستفعل أي شيءٍ لتجعل صديقتها تتذكر. هل عنت ذلك حقاً؟ راقبت مجموعة من طلاب المدرسة الصبية الأكبر سناً يتسلقون برج القفز، يضحكون، ويتكلمون بصوت عالٍ، ويتدافعون. كان على أليس القفز بسرعةٍ قبل وصولهم إليها في القمة. شهقت بعمق، وأجبرت ساقيها على التحول من رخاوة المارشميللو إلى قساوة عرق السوس على الأقل حتى تستطيع المشي عليهما دون التشبث بالدرابزين.

استديري عكس عقارب الساعة خمس مرات.

تلك كانت تعليمات المتحول التالية.

كان على أليس التفكير قليلاً لتتذكر أي اتجاه هو عكس عقارب الساعة ثم بدأت بالدوران. سمعت أصوات الصبية وخطواتهم تقترب. سمعت المنقذ يصرخ من الأسفل.

«أنتِ!»

لقد ظن المنقذ أن دوران أليس كان مجرد لهوٍ. لم يكن يعلم أنه كان عملاً جدياً.

بعد خمس لفاتٍ كانت أليس قد أصيبت بالدوار، لكنها لم تستطع الانتظار. كان الصبية على وشك بلوغ قمة المنصة.

اقفزي وتشقلبي، مغمضة العينين، وأثناء ذلك، قولي: «إلى مياهٍ أخرى، إلى أراضٍ أخرى».

خطت أليس نحو حافة المنصة. اضطربت معدتها. استدارت، وعندها فقط وصل الصبية إلى المنصة. أغمضت أليس عينيها وفكرت بابتسامة ماريسا كما تتذكرها عندما كانتا صديقتين.

صرخ المنقذ بشيءٍ من الأسفل. لم تستمع أليس. كانت تعلم أن الشقلبة ممنوعة. لكن على المرء أحياناً أن يقوم بأشياءٍ ممنوعة.

ممسكةً بالزجاجة، قفزت أليس وقالت بصوت عالٍ: «إلى مياهٍ أخرى، إلى أراضٍ أخرى».

لوهلةٍ، سقطت في الهواء، ثم ما لبثت أن اخترقت أصابع قدميها سطح حوض السباحة وأصبحت تحت المياه. للحظة ظنت أليس أن ذلك لن يجدي نفعاً في نهاية الأمر. ماذا لو كانت في عالمها في حوض السباحة وعليها الصعود مجدداً لتتلقى تأنيب المنقذ وصراخه؟

لكن سرعان ما أدركت أنها لم تكن تغرق في المياه، لقد كانت تسقط من خلالها.

كان ذلك مختلفاً. لقد اختفت مقاومة المياه لجسدها تماماً، وسقطت أليس في عالمٍ غير مألوف.

عندما فتحت عينيها، كانت المياه تسقط حولها من كل الاتجاهات، في عالم مليء باللونين الأزرق والأخضر.

سقطت، ثم سقطت.

بدأت أليس تتعجب ما إذا كان سقوطها سينتهي أم لا. ثم بدأت سرعتها تتباطأ وأخيراً توقفت تماماً لتجد نفسها محاطةً الآن بمياه بحرٍ دافئة. نبهها الضغط في رئتيها أن عليها بلوغ سطح المياه إن أرادت أن تبقى على قيد الحياة.

نظرت أليس إلى الأعلى، فرأت سطح المياه التي يخترقها نور السماء. فبدأت تسبح نحوه. وراحت تضرب بقدميها وتسحب نفسها بيديها أسرع ما يمكن. أخيراً، اخترق رأسها سطح المياه،

واستنشقت الهواء بشراهةٍ إلى رئتيها. كان عليها أن تسعل لوهلةٍ بحذرٍ شديدٍ كي لا تبتلع أياً من المياه المالحة.

نعـم، لقـد كانـت المياه مالحةً. لم تكـن تلك مياه حوض السباحة المُكلوَرة. وعندما تلفتت حولها، رأت على الفور أنها لم تعد في عالمها بعد الآن.

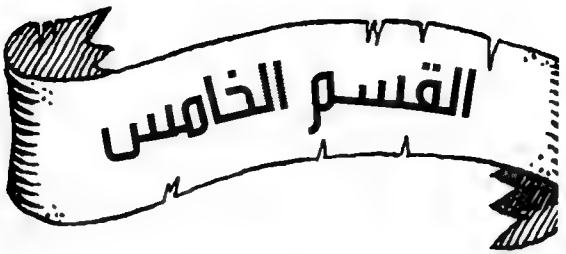

توأم الروح

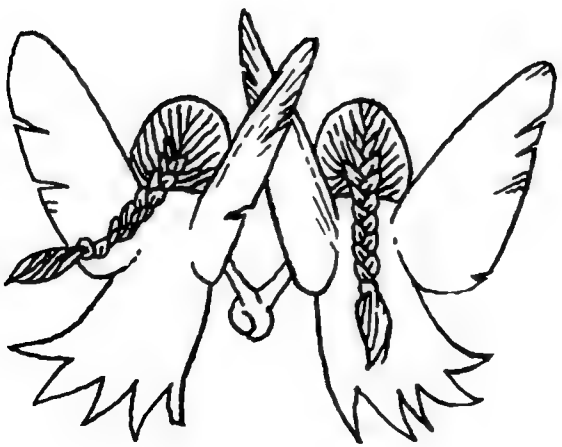

20. رسالة من صديق حقيقي

كانت القوارب تحيط بأليس. في الحقيقة، كان هنالك قليل من القوارب الحقيقية، أما البقية فقد كانت غريبة الشكل، كانت طوافاتٌ وأغصاناً كبيرةً وحشائش، وأي شيءٍ قادرٍ على الطفو. كل شيءٍ على سطح الماءِ كان مربوطاً بعضه مع بعض بالأوتارِ والحبالِ والجدائلِ المأخوذة من النباتات لتشكل ما يشبهُ قريةً عائمة. وعلى القوارب والطافيات جلس كل سكان أرض الأخوات المتشابهين. لقد بدوا وكأنهم يقيمون اجتماعاً.

قالت أليس: «مرحباً!»

في البداية، لم يستجب أحدٌ لها، فصرخت بصوتٍ أعلى. ثم أتى غراب، ذلك الشخص الذي اعتلى صارية إحدى الطافيات، ولاحظها أخيراً.

«انظر، إنها تلك الإنسانة الصغيرة».

قالت أليس: «أنا أليس».

«الإنسانة الصغيرة، كما قلت تماماً».

سألت أليس: «ما الذي يجري هنا؟ وهل من أحدٍ يساعدني على الخروج من الماء؟»

مدت ناسجة أحلامٍ كانت تجلس على قارب قريبٍ يدَ العون، واستطاعت أليس الصعود إليه. تفقدت الزجاجة لتتأكدَ أن الفلينة حالت دون تسرب المياه إلى الداخل، وهذا ما كان. لقد كانت

رسالة آنا جافة. كان الثعلب لوكس جالساً على متن القارب نفسه، فضبح الثعلب مرحباً بآليس، ولعق وجنتيها.

«أرنب الماء! ظننت أنني لن أراك مجدداً».

«وأنـا أيضـاً» قالت أليس وهي تداعب لوكس وتحك خلف أذنيهِ بأصابعها، ثم نظرت حولها. «أين الومضة؟»

أجابها لوكس: «لقد خرجت بحثاً عن قصص. هنالك المزيد منها في قاع البحرِ الآن منذ أن حدث الفيضان العظيم، والمبصرون يراقبون من مسافة أبعد تحسباً من وحوش البحر. لقد تم رؤية بعضها في الآونةِ الأخيرة. ليست كل المخلوقات خيرة، في الأعماقِ يوجد بعض المفترسين المتوحشين الذين يتمنون لنا السوء».

سألته أليس: «لمَ لستَ مع الومضة؟».

«كل عضـوٍ مـن الفريقِ يأخذ دوراً للمشـاركةِ في الاجتماعِ الشهري في القريةِ العائمة. وهذه المرة كان دوري».

أنصتَت أليس بدهشةٍ. لقد تغيرت أشياءٌ كثيرةٌ.

سألته أليس: «من أين أتت هذه المياه؟».

أجابها لوكس: «كما قلت لك من الفيضان العظيم».

ثم حلّق غراب عالياً نحوهما.

قال غراب مهللاً: «إلى مياهٍ أخرى، إلى أراضٍ أخرى، المياه تتحرك بين العوالم».

فكرت أليس بكل الثلوج التي تذوب في عالمها. كان هنالك وقعٌ لكلمات غراب. كان على تلك الثلوج الذائبةِ أن تذهبَ إلى مكانٍ ما، وقد تبدلت في طريقها إلى مياه بحرٍ مالحة. بدا ذلك منطقياً أيضاً. لطالما حدثت بعض التغيراتِ بين العوالم.

قـال غـراب: «لقد بات هذا عالمَ الجزُر، وخلاف ذلك جيد،

لكن الحصول على القهوةِ الصافيةِ ليس بالأمرِ السهل».

علّق لوكس: «والآن لدى كل سـكانِ حديقةِ الأسـرارِ جزُرهمُ الخاصة، الحديقة بحد ذاتها هي جنة تحتَ الماء، مثاليةٌ لرحَلاتِ الغطسِ الاستكشافية. تحلق التنانين بين الجزرِ وتنقلُ الناس من مكانٍ إلى آخر، لكننا نقيمُ هذا الاجتماعَ على هيئةِ قريةٍ عائمةٍ مرةً في الشهر، فيأتي الجميع سوية على القوارب أو على أي شيء يطفو. والآن ننظر في أمرِ ما إذا كان يتوجب علينا إنشاءُ جسورٍ دائمة تربط بين الجزُرِ لتجعلَ التنقل في الأرجاءِ أمراً سهلاً».

قالت ناسـجة الأحلام: «سـيتطلب ذلكَ أن يمد الجميعُ يدَ العَون، بالإضافة إلى القليلِ من السحر، سنكون بحاجةٍ إلى الملكة ليلي».

سألت أليس مذعورةً: «إنها ليست هنا، أليسَ كذلك؟».

هز لوكس رأسَه.

«لقد سقط القصرُ الأبيضُ من السماء، ومنذ ذلك الحين لم يرَ أحد الملكة».

شعرت أليس بالقشعريرة. ماذا لو كانت الملكة قد ماتت؟ «ألا يمكن للتنانينِ أن تجدها؟».

أجابها غراب: «كلا، فقط رسالةٌ من صديقٍ حقيقي قد تصل إليها».

رسالةٌ من صديقٍ حقيقي. رسالة آنا، كانت بحوزةِ أليس.

واضعةً إصبعيها في فمها، أطلقت أليس صفيراً عالياً لتجذبَ انتبـاه الجميـع. وعندما نظر الجميع إليهـا، أفصحت عما كانت تريد قوله.

قالت بصوتٍ عالٍ: «مرحباً جميعاً! اسمي أليس، ولعل معظمكم

يعرفونني. لقد عدنا أنا وصديقتي ماريسا إلى عالمنا، لكني عدت الآن إلـى هنـا لأنقذها، وفي الوقت نفسـه قد أكون قادرةً على مساعدتكم. فإن أعطيتموني جزءاً من قريتكم لأستخدمها كقارب، سأذهبُ بحثاً عن الملكة ليلي وأعيدها إليكم».

خيم الصمت على سكان أرض الأخوات.

«كيف لكِ أن تجديها ونحن لم نستطع ذلك؟ كيف؟ وأين؟ ولماذا؟ ومتى؟».

كانت تلك أسئلة الزهرة المتسائلة، التي أتت إلى اللقاءِ على متنِ قارب الأزهار.

أجابتها أليس محكمةً قبضتها على الزجاجة: «لأن في حوزتي ما أعتقدُ أنها تريده».

قال غراب: «أعتقد أن الإنسـانة الصغيرة لديها وجهةُ نظر، وجهة نظرٍ جيدة».

قرر الجميع أن يثقوا بغراب، وقاموا بالتقاط جذعٍ من الحافةِ الخارجيةِ للقريةِ وأعطوها لآليس لتستخدمه قارباً.

لاحظـت أليـس أنه كان جذع شـجرةِ البلوط العملاقةِ التي نمت وسط حديقة الأسرار. أرخى الثعلب فمهُ على كتف أليس للحظة.

«عودي، سنكون بانتظاركِ».

قالت أليس: «أعدكَ بذلك».

ثم التقطت غصناً آخرَ أصغرَ لتستخدمه كمجذاف، وانطلقت مُبحرةً في عرضِ البحرِ المتقلب ذي اللون الرمادي المزرق.

لقد بدا وكأنه بلا نهاية.

21. دموع

لم تدرك أليس كم جذفت، كانت تغفو بين الحين والآخر. لقد انقلبَ لون السماءِ الرمادي إلى ظلامٍ حالكٍ مراتٍ عديدة. شعرت بالبردِ والجوع والعطش، وآلمتها يداها، وبدت شديدة التعب، لكنها لم تستسلم أبداً. لم تكن تقوم بذلك لأجلها، بل لأجل ماريسا. لم تكن تقوم بذلك من أجل أن تستعيدَ صديقتها فحسب، بل لكي تسترجعَ ماريسا ذاكرتها وعافيتها كذلك.

في النهاية، استنزفت طاقتها. إلى حد أنها خشيت من عدم قدرتها على فتح عينيها مجدداً إن أغمضتهما، وأنها ستغط في نومٍ عميقٍ وتسقط في المياه، وعندها حتى الغرق لن يستطيعَ إيقاظها.

ثم سمعت أليس في أعماقِ أذنيها صوت طنينِ أجنحةٍ بدا مألوفاً. لقد حلق متحولٌ نحوها برفقته جنيةٌ طائرة. وضعا في يديها كيسَ ماءٍ، جلباه من حيث لا يعلم أحد. شربت أليس بشراهة، لم تتذوق يوماً ألذ من تلك المياه الدافئة، مياه فاترة بعضَ الشيء.

شكرتهما وهي تلهث.

قال المتحول: «لا تستسلمي، انظري مباشرةً نحوَ نجم الشمال الذي يشع بالقرب من القمر الخامس، ستجدينها إذا واصلتِ التقدم في هذا الاتجاه».

سألتهما أليس، وقد شعرت فجأةً بوحدةٍ شديدة: «ألا يمكنكما مرافقتي؟».

أجابتها الجنية الطائرة: «للأسف لن نستطيع ذلك، عليك أن تجديها بنفسكِ، فهذه رحلتكِ، ومهمتكِ أنتِ».

سألت أليس: «هل أصبح المتحولون والجنيات الطائرات أصدقاءً الآن؟».

تبادل التنين والجنية الطائرة النظرات.

«أعتقدُ أننا كذلك».

قالت الجنية: «نعم طالما يتحكم هؤلاء الوحوش بغريزتهم الغبية».

انتبهي لكلاااامكِ أو...

«لم تستطِع حتى التقاطي، أيها الأخرق الساذج!».

ثم حلق المتحول والجنية بعيداً.

نظرت أليس نحو القمر الخامس، الذي كان صغيراً وأحمرَ اللون. كان قد بزغَ تواً في سماء تلك الليلة الليلاء. وعلى يسار ذاك القمرِ كانت تشع نجمةٌ مسائيةٌ براقة. وضعتها أليس نصب عينيها وتابعتِ التجذيف. تلقت يداها المتعبتان المحملتان بالألمِ القوةَ من إيمانها النابعِ من رغبتها في إيجاد ما كانت تبحث عنه.

جذفت طوال الليل. وعند بزوغ الفجر، طاف ضبابٌ أبيض متموج على سطح الماء. لم تجرؤ على التجذيف بسرعةٍ مجدداً، لأنها خافت أن تُضِل طريقها. فتركت الجذعَ يطفو ببطءٍ عبرَ الضباب. وفجأةً لاحظت شخصاً مألوفاً، وعندما اقتربت وتبددَ الضباب، رأت ما كانت تبحث عنه طيلة الوقت، الملكة ليلي جالسةً في قاربٍ صغير، وهي ترمي الشباكَ في المياه. لقد بدت

مختلفةً عما كانت عليه من قبل.

شعرها الأبيضُ الطويلُ كان بأكمله مجدولاً على هيئة ضفائر وكعكات، ومليئاً بالكثير من الأغصان والورودِ وريشِ العصافير.

كان فســتانها الرائع ناصعَ البياضِ ممزقاً، وكانت الملكة قد رقعتــهُ فــي عدة أماكنَ بقطع قمــاشٍ ذات ألوانٍ مختلفة. كانت قدماها عاريتين، وذراعاها كذلك، ولم يعد جلدها ناعماً كالحرير، وبدلاً من ذلك كانت كأي شخصٍ عادي.

لقــد بــدت الملكة أصغرَ وألطــف. لم تكن مروعةً إلى حد كبير، ومع ذلك رأت أليس قواها المتهالكة وغضبها.

«الملكة ليلي!» بكَت أليس.

استدارت الملكة ونظرت نحو أليس والدهشة تعتلي وجهَها. لم تكن عيناها متألقتين كالثلج كما في السابق، لقد كانتا ببساطةٍ شاحبتين بلونٍ رمادي مزرق. وكانت بشرتها مجعدة.

ســألت بتردد: «أليس؟ لقد مضى وقتٌ طويل، وكأنها مئات ومئات السنين».

أجابتها أليس: «لن تكون طويلة إلى الحد الذي كانت عليه هذه المرة أيها الملكة ليلي...».

خاطبتها الملكة ليلي قائلة: «ليلي فقط. لم أعد ملكة».

نظرت ليلي نظرةً حزينةً قليلاً.

سألتها أليس: «ما الذي تبحثين عنه؟».

«إننــي أبحث عمــا تبقى من أرضي. بقايا، حطام، ونفايات. كل الأشياء التي كانت يوماً جميلةً وذات قيمة. سأستخدمها لأبني جزيرةً لنفسي. وعندما تصبح الجزيرة كبيرةً كفاية، سأنتقل لأعيش فيها بقية أيامي».

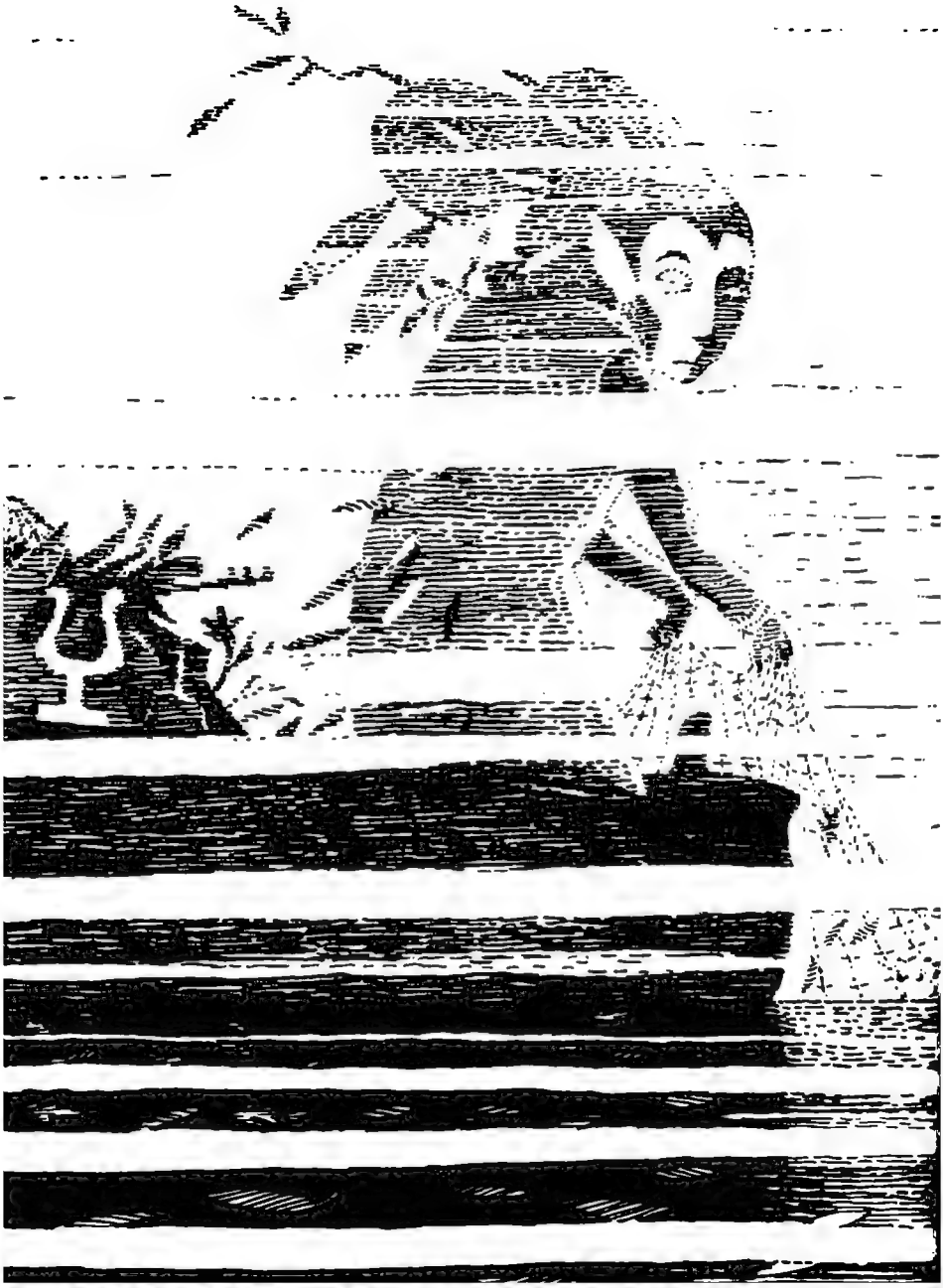

نظرت أليس إلى القطع التي أخرجتها ليلي من المياه. لقد كان من الصعب تحديد ماهيتها. قطعٌ من القصر؟ كنوز تنانين؟ أشرعة سفينة؟ شعرت أليس فجأةً بالذنب الكبير. لو أنها وماريسا لم تكسرا المرآة، لكانت مملكة الملكة ليلي لا تزال جميلةً كما كانت عليه من قبل. لم تكن هي الوحيدة المذنبة بشـأن ذلك التغيير، فالجميع كانوا مُذنبين.

قالت أليس: «لا بد أنك حزينة جداً».

نظرت إليها ليلي ورأسها مائل إلى جانب واحد.

أجابتها ليلي: «نعم. ولا، أشـعر بالحزن حين أفكر بكل ما خسرته. لكنني أشعر بحرية أكبر الآن. أن تكوني ملكة أمر مرهق، لقد كنت المسؤولة عن كل شيء، عن كل وردةٍ وعن جناح كل تنينٍ طائرٍ في حديقةِ الأسرار. والآن ليس لدي مملكة ولا أتحمل أية مسؤوليات».

قالت أليس: «لكن لا يزال لديك مملكة، وإن كانت مختلفة بعض الشيء».

هزت ليلي رأسها.

«لقد دمرتُ كل شـيء وخذلتُ الجميع. ولهذا السـببِ إن أفضلَ ما يمكنني فعلُه هو أن أقضي بقية حياتي وحيدة. فالجميع يكرهونني».

قالـت أليـس: «إنهم لا يكرهونك، بـل يريدونك أن تعودي إليهم. يريدون العمل معك، وباستطاعتك مساعدتهم».

ابتسمت ليلي ابتسامة حزينة هادئة.

ثم سألت: «لمَ أنت هنا أليس؟ لقد سبق أن قلت وصديقتك أنكما تفضلان العيشَ في عالمكما».

«لقد أتيتُ من أجلِ صديقتي».

ثم أخبرتها عن تغير ماريسا، وأن قطعة من زجاج المرآة قد استقرت خلف عينها.

أخيراً قالت: «أفترضُ أنك تعلمينَ كيف تُذيبينها».

اعتلت ابتسامةٌ عريضةٌ وجه ليلي.

«سيكون باستطاعتي أن أعيدها إلى هنا. لا أزال أمتلك الكثيرَ من القوة. عندها سنتمكن من استخراج القطعة من عينها لنستخدمها في صنعِ مرآةِ ظلالٍ جديدة. وبعدها سيعود كل شيءٍ إلى سابق عهده. وسيكون باستطاعتكما البقاء هنا إلى الأبد، لتصبحا ابنتي، وأميرتي. ستحصلانِ على كل ما حلمتما به يوماً. سنكون جميعاً أسعدَ من أي وقتٍ مضى».

عدلت ليلي وضعيتها، وبدأت عيناها تتوهجان.

كان دور أليس الآن لتهز رأسَها.

مكتبة

«كلا، ليلي. لن أقبل بذلك. لن يحدث هذا».

لوهلةٍ بدت ليلي وكأنها ستفقد أعصابها، وتتسبب بعاصفةٍ غضبٍ ثلجية. لكنها تجاهلت غضبها في النهاية وهدأت.

«أنت محقة، فكل هذا باتَ في الماضي. بعضُ الأحلامِ لا تتحقق».

سألتها أليس: «لكنك تعرفين طريقة لإذابة قطعة زجاج المرآة في عالمي، أليسَ كذلك؟».

هزت ليلي رأسها.

«نعم، لدي طريقة. دموعي تستطيع إذابتها. لكنني لم أبكِ منذ أن غادرت آنا. فقد بكيتُ ليالي عديدةً حتى نفدت دموعي في النهاية. لا أعلمُ حتى إن كان بمقدوري البكاءُ إن أردت الآن».

أعطت أليس الزجاجة إلى ليلي.

«هذه من آنا».

صدمت ليلي وتفاجأت لدرجةٍ جعلت يديها ترتجفان.

«من آنا؟ كيف ذلك...؟ أتعلمين...؟».

قالت أليس: «هيا، افتحيها».

بيدين مرتعشـتين، فتحت ليلي الزجاجة، وأخرجت قصاصة الورق الصغيرة منها بحذر.

سألت أليس: «ما هذه؟».

«رسالة».

تنهدت ليلي محبطة: «لكنني لا أُجيدُ القراءة».

قالت أليس: «أستطيع قراءتها لك». ثم أخذت الورقة وفتحتها، وبدأت بالقراءة

عزيزتي ليلي،

لقد مضى وقتٌ طويل، لكني آملُ أنك ستستمعين لما سأقوله لكِ. لم أستطع طوال السنين الماضية التوقفَ عن التفكير فيك.

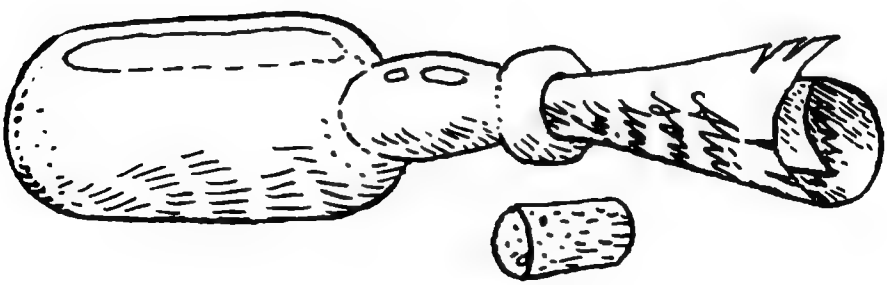

لم أغادر لأنني كرهتكِ أو بسبب أرض الأخوات أو لأننا تشاجرنا. لقــد غــادرت لأنه كان علي العودة إلى عالمي، والى بيتي. كنتِ لتفعلين الأمر نفسه لو كنتِ مكاني، أنا أعلم ذلك.

لا أزال أحلمُ بأرض الأخوات وبكِ. طوال السنين الماضية لم أحظَ بصديقةٍ حقيقية مثلكِ. لقد كنتِ وستظلين توأم روحي.

صديقتكِ إلى الأبد.

آنا

اتســعت عينا ليلي، واســتطاعت أليس أن تلحظ أنهما بدأتا ترتجفان. ثم انهمرَت دمعةٌ كبيرةٌ براقةٌ على خدها. جمعت ليلي الدموعَ واحدةً تلوَ الأخرى داخل الزجاجة. كان هنالك الكثير من الدموع، لكن ليلي بدت سعيدةً أكثر من كونها حزينة.

«لعل شــيئاً قد ذابَ في داخلي أيضاً». أخيراً، تنهدت ليلي وأعطت الزجاجة لأليس.

«شكراً لقدومكِ. شكراً لإيصالك الرسالةَ إليّ».

مسحت أليس عينيها. ثم جلستا لوهلةٍ في صمتٍ منصتتين إلى صوتِ الأمواج وهي ترتطمُ بالقارب.

سألت ليلي بصوتٍ حالم: «هل تعتقدين أن الباقين لا يزالون يرغبون ببناءَ المملكةِ برفقتي؟».

«أنا متأكدةٌ من ذلك. كما أنهم يريدون بناء جسور».

قالــت ليلــي: «هــذا جيد. هيا بنا. لكــن أولاً دعينا نذهب لنحضرَ جزيرتي معنا».

جذفتا سويةً عبر الضباب لتستعيدا جزيرة ليلي الصغيرة التي كانت قد بنتها حتى الآن. أحضرتا الجذعَ الذي اســتخدمته أليس

كقـاربٍ فـي رحلتها، ثم ربطتا الجزيرةَ بمؤخرةِ القاربِ بواسـطةِ حبلٍ متين.

ثـم انطلقتـا مجذفتينِ بالاتجاه الذي أخبرت أليس به ليلي. وخلال الرحلة، شعرت أليس بتعبٍ شديد، فذهبت لتسترخي في مؤخرة القارب وتنام قليلاً. وقبل أن تغفو، قالت ليلي: «أنتِ فتاةٌ شجاعة يا أليس. لماذا أقدمتِ على فعلِ كل هذا؟».

أجابتهـا أليـس متثائبـةً: «لأنه لا معنـى للحياة دونَ وجودِ صديقٍ حقيقي».

عندها قالت ليلي مبتسمة: «أظنك محقة».

22. الوداع

اســتيقظت أليس وشــعرت بالبرد، أنفٌ مبللٌ يلمسُ خدها، وصوتٌ مألوفٌ عميقٌ في رأسها: نحن ننتظركِ.

فتحت أليس عينيها. كان المتحول جالساً في القارب بهيئة ذئــب، وينظــر إليها بعينيه الذهبيتيــن. وعندما نهضت مترنحةً، أدركت أن عشرات، بل مئات الأعيُنِ كانت تحدق إليها. كان قارب ليلي قد وصلَ إلى القريةِ العائمة. وهذه المرة كان سكان العالم أجمعين هناك، ومن بينهم المبصرون، وطاقم الومضة والتنانين. كان الجميعُ صامتين وينتظرون ما ستقوله أليس.

فقالت: «لقد أحضرتُ لكم ليلي».

نظرَ سكان أرضِ الأخوات إلى بعضهم وبدأوا يتمتمون.

أخيراً قال غراب: «هل هذه هي ملكتنا؟ إنها تبدو شــخصاً عادياً».

فردت عليه أليس قائلة: «أنتَ وحدك من تبدو شخصاً عادياً، لقد تغيرت أرضُ الأخوات، وليلي كذلك. ولن تعود ملكةً بعد الآن. إنها واحدةٌ منكم الآن».

ابتسمت ليلي بقليلٍ من الخجل، ثم نظرت بعيداً، فبدأ البحرُ يشكل دوامةً لتحيط بالقارب. وظهرت طحالب من بين الأمواج، وبدأت تنسجُ بعضها مع بعض لتشكلَ جسراً معلقاً ومتيناً. رفعت ليلي الجسر من فوق القرية العائمة، وطارت به لتضعه بين أكثر

جزيرتين متقاربتين، واللتين كانتا صغيرتينِ لكن بضفافٍ شديدةِ الانحدار.

عمت الهتافات المبتهجة المكان.

أعلنَ غراب: «إنها ليلي حقاً».

سعَلَ تنينٌ صغيرٌ مطلقاً خطاً من الدخان وقال بصوت خافت وهادئ: «ولن تكبلنا بالسلاسل بعد الآن؟».

وضحت ليلي: «أعدكم إنني لن أُكبل أحداً مرة أخرى».

صفقَ سكان أرض الأخوات بحماسٍ شديد. ثم سرعان ما عقدوا اجتماعاً جديداً مع ليلي. تكلموا بشأن الجسورِ وربطِ الجزر

بعضها مع بعض، وعمّا عليهم فعلُه عندما يحل فصل الشتاء.

أنصتت أليس لكل ذلك، وشعرت بالاكتئاب. لم يكن لها علاقةٌ في أي من تلك الخطط بعد اليوم. فبعد أن تترك هذا العالم من المستبعد أن تعود إليه مجدداً. ولن ترى كيف سيصبح، ربما لن يعودَ جميلاً وجذاباً كسابق عهده، لكنه سيبقى عالمهم، شيئاً بنوهُ معاً.

لاحظ كل من غراب والمتحول، وثعلب السفينةِ لوكس، أليس تغادرُ عندما أتت لتقول وداعاً.

سألت أليس: «كيف لي أن أعودَ إلى عالمي؟».

فقال المتحول: «واصلي التجذيف حتى لا تري شـيئاً سـوى المياه. ثم تشـقلبي خمس مراتٍ عكسَ عقارب السـاعة، اقفزي في الماء، وقولي: إلى مياهٍ أخرى، إلى أراضٍ أخرى».

عانقـت أليـس المتحول، وكانت رائحته من رائحة الحديقة. وعانقت الثعلب، وكانت رائحته من رائحة البحر.

أخيراً عانقت غراب، الذي كانت رائحته شاعريةً وتشبهُ رائحةَ القهوة. علمت أليس أنها ستفتقد الجميع كثيراً.

أوصاها المتحول قائلاً: «احذري من وحوش البحر».

لوّحت أليس مودعةً جميع المخلوقات وليلي وكل المغامرات التي ربما لن تعيشـها مجدداً. أخيراً، تواصلت ليلي معها وكانت تمسكُ في يدها ريشةً من جناح غراب.

عندها قالت ليلي: «أوصلي هذه لآنا كرد على رسالتها، لقد ألقيتُ تعويذةً في هذه الريشـة للتنقل بين العوالم. إذا أرادت آنا، فيمكنها استخدامها للمجيءِ وزيارتي هنا».

قبلت أليس الريشة.

وأردفـت ليلـي: «وأخبريهـا أنها كانت دائمـاً ولا تزال توأم روحي أيضاً».

بعد أن جذفت أليس بما فيه الكفاية، قامت بما نصحها به المتحول تماماً. لكن حين أوقفت القارب لتقفز في المياه، وجدتهُ يهتز بطريقةٍ غريبة. وعندما سمعت صوتاً شبيهاً بالأزيز وظهرت فقاعات في الماء لاحظت انجراف القارب. ثم ظهرت بتلاتُ ورودٍ على سطح الماء. إلا أنها لم تكن بتلات ورود، لقد كانت حراشفَ. التـف وحـشُ بحرٍ عملاقٌ حول القارب، وأخرج رأسـه من الماء، وفتح فمه الكبير الذي كانت تحتشد فيه الأسنان الحادة.

«إلى مياهٍ جديدة، إلى أراضٍ جديدة!» صرخت أليس بأعلى صوتها، محكمة قبضتها على الزجاجة والريشــة، وقفزت أبعدَ ما يمكنها عن فمِ الوحش.

غاصت أليس وغاصت.

كانــت الفقاعــات تملأ المياه حولها، واســتطاعت الشــعورَ بالتياراتِ التي تسببت بها حركةُ وحشِ البحر. سمعت من خلالِ الأمواج صوتاً وكأن الوحشَ قد حطمَ القاربَ بأســنانهِ وفتته إلى شظايا.

غاصــت أليــس أعمقَ، وهي تضرب أكثــر فأكثر. كان عليها الفرار بعيداً.

عندما شعرت أليس أنها أصبحت في أمان، التفت مؤخرة ذيل الوحش حول كاحلها كحبلٍ وعصرَ بقوة. وبدأ يسحبها نحوَ رأسه وفمــه المفتــوح. حاولــت أليس أن تلكمه بقبضتها، لكن ذلك لم يُجدِ نفعاً. كانت رئتاها على وشك الانفجار، ولم يكن باستطاعتها البقاءُ تحت الماء مدةً أطول. ومع ذلك، لم تمتلك خياراً أفضل.

بما تبقى لها من قوة، غرست أليس أسنانها في ذيلِ وحش البحر. كان طعمه كطعمِ السمك المتعفنِ. فما كان من الوحش إلا أن أرخى قبضته قليلاً ما أتاح لها أن تتحرر. لكن عندما أرخت أسنانها عن لحمِ ذيله المقزز، كان فمها قد امتلأ بالمياه وابتلعتها.

ثم اســودت رؤية أليس، ولم تعد موجودة في ذلك العالم، ولا في أي عالم آخر.

23. لم يكن حلماً!

داعبت ريشة ناعمةٌ كبيرة خد أليس. هل كانت ريشةَ غراب؟ لكن غراب كان صغيرَ الحجم. لم يكن يمتلك ريشاً كبيراً كهذه. أو ربما أصبح غراباً أكبر، بحجم إنسان. كان ذلك ممكناً. كل شيءٍ كان ممكناً.

همست أليس: «غراب».

«أليس».

كان الصوت مألوفاً، لكنه لم يكن صوت غراب. فتحت أليس عينيها بصعوبة؛ أمي. كانت أمها جالسةً إلى جانبها تداعب وجنتها. كانت يدُ أمها ناعمةً كريشة، وكانت أليس مستلقيةً على سريرٍ آخرَ غيرَ سريرِها، وكانت أضواء السقف شديدة التوهج والسطوع. وعلى الجانب الخلفي من يدها كان هنالك أنبوبٌ رفيعٌ مربوطٌ وموصولٌ بكيسٍ مملوءٍ بسائلٍ.

قالت أمها بالنبرةِ التي اعتادت أن تهدئ بها مخاوف أليس: «عزيزتي، أنتِ في المستشفى».

سألتها أليس: «لماذا؟».

كان التكلمُ صعباً قليلاً. كان فمها جافاً، وشعرت بطعمٍ كلوري غريب، وكانت رئتاها تؤلمانها.

«كنتِ على وشكِ الغرق في حوض السباحة. وحمداً لله أنهم أنقذوكِ في اللحظة الأخيرة. كل شيءٍ على ما يرام الآن. قد

يؤلمكِ حلقكِ ورئتاكِ لفترة، لكن ما من شيء خطير. ستتمكنين من العودة إلى المنزل غداً، بعدَ أن استعدتِ عافيتكِ، واستفقتِ».

علمت أليس أن أمها كانت تتكلم بتلك الطريقة لتهون على نفسها كما كانت تفعلُ لأليس. لقد استَقت من عينيها أنها كانت تبكي طوال الوقت. لكن أمها ابتسمت الآن بارتياح، فبدأت أليس تبتسم.

لقد فعلَتها. لقد فرت من وحش البحرِ وعادت إلى عالمها. والأهم من ذلك، أنها جلبت معها ريشة غراب ودموع ليلي، التي ستذيبُ قطعة زجاجِ المرآة.

إلا أن...

كانت يدا أليس فارغتين. نظرت حول السريرِ وتحت الأغطية. لا شـيء. فقـط زجاجـة من الماء كانت علـى المنضدة بجانب السـرير. وكان ثوب سـباحتها قد استبدل برداء المستشفى. لا بد أن أحداً أخذ الزجاجة حينها.

سألت أليس بصوتٍ أجش: «أين الزجاجة؟»

سـألتها أمهـا وهي تداعب جدائلها الجميلـة: «أي زجاجة، عزيزتي؟».

«الزجاجة الصغيرة التي كانت معي عندما كنت أغرق».

عبست أمها ونظرت إليها.

قالت: «لا بد أنك كنتِ تحلُمين. لم يكن بحوزتك أي زجاجة».

قالـت أليـس: «بلى، لقد كانت بحوزتي! كانت بهذا الحجم! وكان هنالك ريشة!». وبدأت بالسعال.

عادَ القلقُ ليظهرَ على وجهِ أمها.

«أليس، حبيبتي، أنت مشوشةٌ فقط. لا تجهدي نفسك. فقط

عودي للنوم. علي العودة إلى المنزل الآن، لكني سأكون هنا في الصباح ما إن تتم الطبيبةُ جولتها، وستتمكنينَ من العودة إلى المنزل». قبلت الأم خد أليس، وتمنت لها ليلةً سعيدة. كانت أليس متعبةً جداً فبالكادِ استطاعت أن تلوح بيدها لتقولَ وداعاً.

ما إن غادرت والدتها حتى انهمرت دموعٌ حارة على خد أليس. لا زجاجة؟ ولا ريشة؟ هل أضاعتهما في أرض الأخوات؟ بدا ذلك جلياً. لقد أخفقت وجعلت كل رحلتها تذهبُ سدىً.

أُطفِئَت أنوار الغرفة. كان جميع المرضى في الأسرة المجاورة قد غطوا في النوم. بكَت أليس بهدوءٍ كي لا توقظَ المرضى أو تثيرَ قلقَ الممرضات. بكت طويلاً حتى شعرت أنها بكت محيطاً مالحاً بأكمله.

استيقظت أليس في الليلِ، على صوت غطيط أحدِ المرضى الذي بدا وكأن أحداً يحدثُ ثقباً في جدارٍ إسمنتي. استدارت أليس على جنبها، وحاولت أن تنام مجدداً، وكلما كانت تغفو، كان الغطيط يعود مجدداً. في الغرفةِ المظلمة حتى الروائح بدت أقوى. كانت كرائحة الدواء والمنظفات وأشخاصٍ مسنين. أدركت أليس أنها لم تقضِ ليلةً في مستشفىً منذ ولادتها.

فُتحَ البابُ ودخلت ممرضتان ليليتان لتقوما بجولتهما. أرغمت أليس نفسها على إغماض عينيها، وتظاهرت بالنوم، لأنها لم ترِد لأحدٍ أن يسألها ما إذا كانت ترى كوابيس أو تشعرُ بالمرض.

تفقدت الممرضتان النساءَ المسنات أولاً، ثم عادتا إلى سريرِ أليس.

همست إحدى الممرضتين إلى الأخرى: «إنها فتاة قوية».

فسألتها الأخرى: «وكيف علمتِ بذلك؟»

«لم أرَ يوماً في حياتي عزيمةً كهذهِ لشخصٍ كان في غيبوبة. كانت تمسكُ في قبضتيها زجاجة وريشةً بقوة عندما أنقذوها في حوض السباحة. لم يستطع المسعِف أن يفلتهما من يديها. لقد تطلب الأمر شخصين لينتزعا الزجاجة والريشة».

ارتعشت أليس قليلاً في السرير. إذاً لقد جلبت الزجاجة والريشة معها فعلاً إلى هذا العالم!

«ما الذي كان في الزجاجة؟».

«لا شيء مميز. أعتقدُ أنها كانت مجرد مياه. على الأقل لم تكن رائحتها كرائحة أي شيء غريب. أعتقد أنها والريشة على المنضدة في غرفة الاستراحة. اذهبي وتخلصي منها عندما تدخلين غرفة الإستراحة».

«ماذا لو كانتا شيئاً مهماً بالنسبة إليها؟».

أرادت أليس الصراخ والقول: «نعم، إنهما أهم شيئينِ في العالم».

«لا! إنهما مجردُ قمامة. يهتم الأطفالُ بأشياءَ غريبة كهذه أحياناً».

ثم غادرت الممرضتان الغرفة، وأغلقتا الباب خلفهما. استيقظت بشكل تام الآن، استلقت أليس في الظلام وهي تفكرُ بما عليها فعله. كان عليها أن تحصل على الزجاجة. الليلة. الآن.

غادرت أليس سريرها بحذرٍ وهدوءٍ. وبالطبع كانت المشكلة أنها ما زالت موصولةً بأنبوبٍ وريدي في يدها وبكيس سوائل متدلٍ من عمود معدني. لم تستطع أن تفك الأنبوب بنفسها. فما كان على أليس سوى أن تأخذ العمود بأكمله معها. لحسن الحظ أنه كان بعجلات، لأن المرضى ذوي أنبوب التقطيرِ كانوا

يحتاجون إلى الذهاب إلى الحمام.

أحضرت أليس زجاجة الماء عن المنضدة، وخبأتها تحت رداءِ المشـفى خاصتها. لن تعلمَ أبداً متى سـتحتاج إلى شـيءٍ لتدافعَ به عن نفسك.

بـدأت أليـس تجر العمودَ معها، محاولـةً أن تتحرك بهدوءٍ قدرَ المسـتطاع. لوهلة توقف أحد المرضى عن الغطيط عندما كانت أليس تمر بجانب سريره. تجمدت أليس كالتمثالِ وحبست أنفاسها. سرعان ما عاد الغطيط كما كان، فتنهدت تنهيدة ارتياح وأكملت طريقها.

نظرت أليس خلسةً من الباب إلى البهو. لم تجد أحداً. كان الساحة خالية، فأكملت طريقها. كان باب غرفة استراحة الممرضات مفتوحاً جزئياً، وفي الداخل رأت أليس إحدى الممرضات الليليات واقفـةً أمام المنضدةِ وممسـكةً بالزجاجـة. رفعتها الممرضة إلى الضوء، فتحت السـدادة، اشـتمتها، ومن ثم بدأت تفرغ محتواها في مصرف المياه.

أصـدرت أليس صوت صريرٍ خفيف لاإرادياً مرتعبةً. توقفت الممرضـة ونظـرت حولهـا. التصقت أليس بالجـدار كي لا تراها الممرضة. وعندما نظرت الممرضة إلى البعيد انزلقت أليس إلى الجهة الأخرى من الباب، سحبت زجاجة المياه من جيبها، وقذفتها بعيـداً قـدر المسـتطاع نحو الجهة الأخرى مـن البهو. تحطمت الزجاجـة. خطـت الممرضـة خارج غرفة الاسـتراحة تاركةً أليس مختبئةً خلف الباب المفتوح.

راقبت أليس من الشق بجانب مفاصل الباب الممرضة وهي تنظر إلى أعلى وأسفل الباب، ثم بدأت تمشي نحو قطع الزجاج.

استدارت أليس ومعها عمود التقطيرِ ودخلت غرفة الاستراحة وجلبت زجاجة الدموع والريشة عن المنضدة. كانت الدموع سليمة. أعادت وضع السدادة على الزجاجة ووضعت جميع الأشياءِ في جيبها.

لم تستطع أليس الركض في البهو لأن الممرضة لا تزال هناك. لكنها كانت قد حضّرت خطة. رافعةً يديها إلى الأمام، أغمضت عينيها تماماً، وتظاهرت أنها تمشي وهي نائمة.

قالت الممرضة وأمسكت كتفي أليس: «ماذا لدينا هنا؟ دعينا نعيدكِ إلى سريرك لكي تنامي».

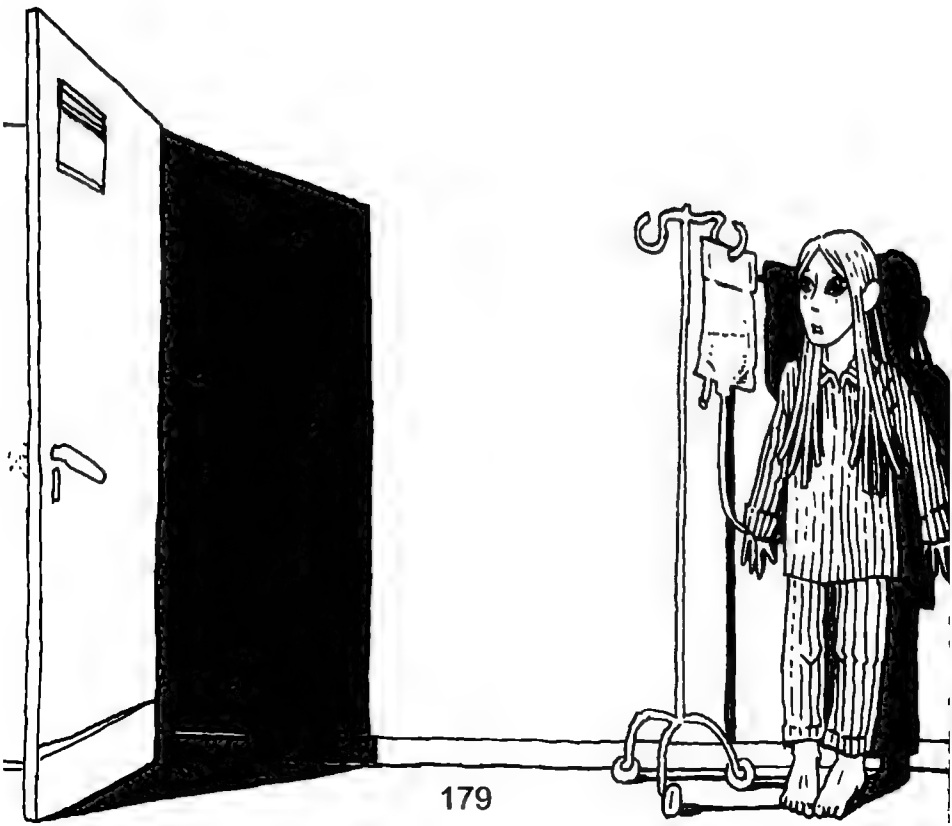

أرادت أليــس أن ترقــص بفرحٍ وتصرخ مبتهجة. لقد نجحَت! لقد كنت بطلة!

قادتها الممرضة بلطفٍ وأمانٍ إلى ســريرها، وســاعدتها على الصعود، وغطتها ببطانية.

أخيراً، داعبت شعرَ أليس وهمست: «لقد علمتُ أن الزجاجة والريشةَ كانتا مهمتين بالنسبة إليك. نامي جيداً».

24. اللوحة

جلســت أليس في كافيتريا المدرســة، وحدقت إلى ماريسا التي كانت تجلس على الطاولةِ المجاورة وكأنها منومةٌ مغناطيسياً.

كانت متحمسةً جداً لدرجةِ أنها لم تستطع حتى أن تلمسَ طعامها. وكانت الهوت دوغ والبطاطا المهروســة قد بدأت تبردُ في صحنها.

فــوق كل ذلــك حدقــت أليــس إلى زجاجة المــاء الخاصة بماريســا، التي لم تكن قد شــربت منها ولا قطرةً واحدة بعد. فــي قاعــة الطعام، خططت أليس أن تســكب دمــوع ليلي في زجاجة ماريسا بعد أن تصرف انتباهها وانتباه الآخرين وهي تصرخ «انظروا! بنطال المديرِ هابط!» بعدئذٍ حملقَ الجميع إليها. لقد بدا جلياً أنها كانت «صبيانية» و«غريبة الأطوار». تجاهلتهم. فلم يكن هناك شــيء أكثر أهمية مما قد يحصل إذا شــربت ماريســا تلك الزجاجة.

مضت ثلاثة أيام على خروج أليس من المستشــفى. أمضت اليوم الأول في المنزل تستعيدُ عافيتها، ثم عادت إلى المدرسة. فجأةً أصبحت متشــوقةً جداً. الجميع - ما عدا ماريســا - أرادوا التحدث إليها، والاستماع كيف أوشكت على الغرق والموت وكيف نجت.

ربما بدا ما جرى لها شيئاً خارجاً عن المألوف وأراد الجميع

أن يكونوا جزءاً منه. لكن أليس علمت أن هذا الاهتمام سيزولُ قريباً. والآن في اليوم الثاني بدا وكأن الجميعَ حصلوا على ما كانوا يريدون منها. لقد كانوا مُحبطين لأن غرقها الوشيك لم يغير فجأةً أليس إلى شخصٍ أكثرَ إثارةً.

لم يريدوا أن يصبحوا أصدقاء أليس المقربين. هم فقط أرادوا أن يكونوا قادرين على قولِ إنهم عرفوا شخصاً كان على وشك الموت. لم ترِد أليس أصدقاءَ كهؤلاء. أرادت أن تستعيد صديقتها.

هذا ما جعلها تحدق بتركيزٍ إلى زجاجة الماء الخاصة بماريسا، وهي تعيدُ في رأسها: «اشربي! اشربي! اشربي! اشربي!»

قالت نيلي الجالسة إلى جانب ماريسا وهي تشير إلى أليس: «أنتِ يا غريبة الأطوار، أيمكنكِ التوقف عن التطفل؟».

ابتسمت ماريسا ابتسامةً استخفاف وقالت: «دعيها تحدق. ربما هي غبيةٌ جداً لدرجة أنها لا تعلمُ كيف تأكل. يمكنني أن أعلّمها».

تناولت شوكةً فيها قطعة من الهوت دوغ والبطاطا المهروسة، وأدخلتها في فمها ببطء. ثم مضغتها جيداً بشكل كامل.

نظرت إلى عيني أليس طوال الوقت، ونظرتها كانت فاترةً وقاسية. ثم رفعت ماريسا زجاجة المياه خاصتها إلى شفتيها... وشعرت أليس كما لو أن العالم بأسره قد تجمد.

ملأ الخوفُ والأملُ أليس أكثرَ من أي وقت مضى عليها. كانت أكثر خوفاً مما كانت عليه وقت قاتلتا وحوش ليلي الثلجية، كانت أكثر خوفاً مما كانت عليه حين سحبها وحش البحرِ.

كانت هذه اللحظة ستقرر كل شيء، كانت اللحظة التي

ستحدد إن كانت قد نجحت فعلاً أم فشلت.

رأت أليس في بصيرتها مستقبلاً عادت فيه وماريسا صديقتين مقربتيـن. رأت حفـلات النوم، والنزهات فـي الغابة، والأحاديث المتأخـرة في الليل، والسـباحة في البركـة تحت أمطار الصيف، وكتابة القصص سـويةً، وفراولة الغابة والتوت البري على سـيقان الأعشـاب، ونوبات الضحك الهيستيرية، وكل اللحظات التي تعلمُ فيها أنكَ لست وحيداً في هذا العالم، لأن هنالك شخصاً يفهمك ويستمعُ إليك حتى عندما لا يكون إلى جانبك.

رأت أيضاً مسـتقبلاً آخر. لم تذب فيه الدموع قطعة زجاج المرآة. رأت ماريسا تحدق إليها ببرودة، وتعاملها باحتقار، تاركةً إياها وحيدةً.

ابتلعت ماريسا السائل على جرعات ببطءٍ مبالغ فيه.

ثم أعادت الزجاجة إلى مكانها على الطاولة.

ماذا الآن؟

أغمضت ماريسـا عينيها. بدأت تهتز. وأخذت تتعرق. انزلق كرسـيها، وسـقطت على الأرض. هرعَ الجميعُ إليها، وشقت أليس طريقها بينهم إلى المقدمة.

«مـاذا فعلـتِ بها، أيتها المجنونـة!». صرخت نيلي بأليس: «هل سممتِها؟».

تجاهلـت أليس بـكاءَ الجميع واضطرابهم. نظرت فقط إلى ماريسا، التي توقفت اختلاجاتها بالسرعة التي بدأت فيها. فتحت ماريسا عينيها. عظيم، دموعٌ براقةٌ بدأت تنهمرُ على خديها. كانت عيناهـا خضراويـن كما كانتا سـابقاً. أجمل عينين خضراوين في العالم. واختفى منهما البريق الجليدي.

مدت أليس يدها إلى ماريسا. أمسكت بها ماريسا وابتسمت. كانت يدُها دافئةً كابتسامتها.

وهمست: «أليس».

حدقــت أليــس إلى عيني ماريســا الخضراوين. هل تذكرتها ماريسا؟

سألتها أليس: «هل تتذكرينني؟». هزت ماريسا رأسها.

«أتذكر كل شيء».

شدت أليس على يدِ ماريسا وابتسمت لها.

رن جــرس البــاب في الردهــة بترحيبٍ عندما دخلت أليس وماريســا. كان ذلك في اليوم التالي لاســتعادة ماريســا لذاكرتها. لقد أمضتا الليلة الماضية بأكملها تتحدثان وتتحدثان. قصت أليس حكاية مغامرتها في أرض الأخوات، واعتذرت ماريسا عن معاملتها.

قالت أليس: «لم تكن غلطتكِ، لم تكوني أنتِ نفسكِ».

«لكني كنت أعاملك بكراهية»، تنهدت ماريسا وهزت رأسها.

عندها قالت أليس: «لحســن الحظ أننا لم نتخاصم لوقت طويلٍ كخصام ليلي وآنا».

رحبت بهما آنا بذراعين مفتوحتين وبالكثير من المجوهراتِ المُقرقعة.

قالت: «كم هي جميلة رؤيتكما، وخاصة أنتِ، ماريسا. لقد أخبرتني أليس الكثيرَ عنكِ».

احمرت ماريســا خجلاً. حضرت آنا كعكة الشــوكولا وعصير الليمونادا، وصفت قطع الكعكة على أوانٍ خزفيَّةٍ كانت قد رسمت عليهــا بنفســها ثعالبَ تركضُ على الحــواف. أخبرت أليس آنا ما

حصـل فـي أرض الأخوات. عندما أخبرتهـا عن ليلي وعما قالته، أخذت آنا تبكي.

قالت آنا: «أوه يا فتاتيّ العزيزتين، لا تعلمان كم مهم بالنسبة إليّ أن أسمع أن ليلي ما زالت تريدني توأم روحها».

«وأعطتني هذه لأقدمها لك». قدمت أليس ريشة غراب لآنا.

قالت آنا، وهي تتفحص الريشة: «إنها جميلة».

عندهـا قالـت أليس: «إنها ليسـت ريشـة عاديـة. يمكنك

اســتخدامها لتزوري أرض الأخوات متى شــئتِ». قلبت آنا الريشة بين أصابعها، وبدت مستغرقةً في التفكير.

«لعل الوقت قد حان الآن للذهاب ورؤية ما يحصل هناك. لقد حان بكل تأكيد... أســتطيع أن آخذ لغراب شــيئاً آخرَ ولكل شخصٍ كتاباً ليقرأ من أجل تغيير...»

ارتســمت ابتســامة حالمة على شفتي آنا، وأغمضت عينيها. تبادلت أليس وماريسا الابتسام. ثم عادت آنا إلى الواقع مجدداً.

«لقد كدتُ أنسى! لقد رسمتُ لوحةً جديدة».

ذهبــت آنــا إلى الغرفة الخلفية لتحضرَ لوحة القماش. وكان عليها تصويرٌ لشــجرة البلوط الضخمة في حديقة الأســرار وغراب جالسٌ على جذعٍ خشــبي. وناســجات الأحلام تحرك الأحلام قبالة إحــدى الجهــات، والجنيات الطائرات تطير نحو المتحولين الذين يقفون للحراســة على هيئة ذئاب. جميع المخلوقات ابتداءً من ذوي القفازات السخيفة وحتى الأزهار المتسائلة كانت موجودةً هناك.

في وسط اللوحة، وعلى قاعدة الشجرة، وقفت فتاتان. كانتا تشبهان أليس وماريسا.

نظرت آنا إلى الفتاتين بمحبة.

«أود أن أعطيكما هذه اللوحة. اسمها أرض الأخوات».

مكتبة

telegram @ktabpdf

telegram @ktabrwaya

جديد الكتب والروايات

تابعنا على تيليجرام اضغط هنا

تابعنا على فيسبوك اضغط هنا

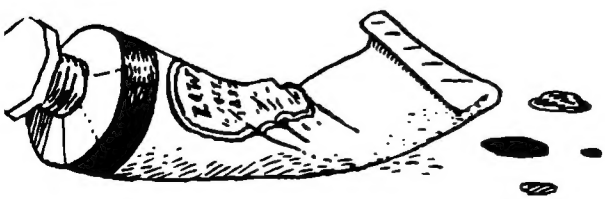

الفهرس

القسم الأول

صديقة

1. الكثير من الثلج 8
2. بوابة الحديقة 14
3. من ذا الذي دخل حديقتي؟ 21
4. جنيات الرياح وناسجو الأحلام 27
5. يوم الشاعر بو 35
6. الفراولة وتوت العليق 45
7. النبوءة 53

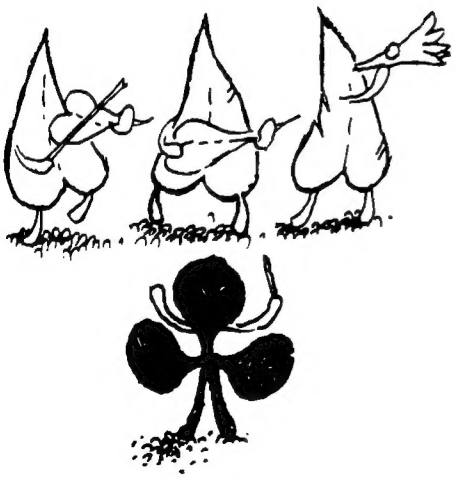

القسم الثاني

الرحلة

8. ما قاله المتحول 59
9. البحر العياني 67
10. قلبٌ من الصخر 76
11. ليليآنا 80
12. جزيرة التنانين 91

القسم الثالث

المعركة

13. درجات القصر الأبيض 102
14. مرآة الظلال 109
بين العالمين 117

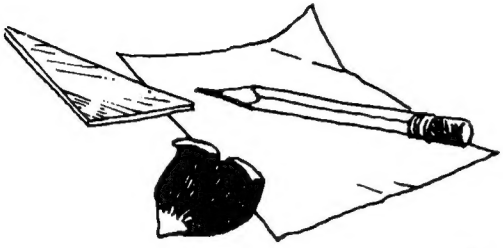

القسم الرابع

الغريب

15. العودة 120
16. ألا تذكرين؟ 126
17. قبلة المتحول 133
18. السيدة من المعرض الفني 137
19. مياه أخرى وأراضٍ أخرى 145

القسم الخامس

توأم الروح

20. رسالة من صديقٍ حقيقي 154
21. دموع 160
22. الوداع 169
23. لم يكن حلماً! 174
24. اللوحة 181

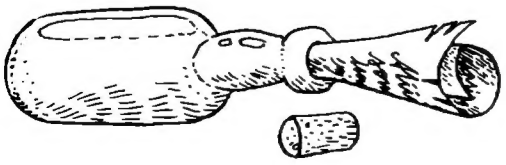

أرض الأخوات مغامرة آسرة، تبدأ بسقوط ابنة الإحدى عشرة سنة أليس في هوة ثلجية تنقلها من عالمنا الذي يكاد الثلج يغمره إلى عالم آخر، حيث تجد في حديقة الأسرار صديقة لها تدعى ماريسا، ومن هناك تبدأ مغامرة أليس لإنقاذ العالم.

تجمع الرواية بين أجواء ساحرة من عالم الخيال، وتشدد على القيمة الكبيرة للصداقة، فصداقة أليس وماريسا ستنقذ العالم من ثلج يغمره، وصداقة ليلي وآنا سلبت عالمنا صيفه وظلاله.

ISBN: 978-614-01-2459-2
9 786140 124592

منحة الترجمة
Translation Grant
صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Fund

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

جميع كتبنا متوفرة في موقع نيل وفرات .كوم
www.neelwafurat.com - www.nwf.com